رمضان شهر الإحسان

التوحيد

العدد ٦٤٥ السنة الرابعة والخمسون - رمضان ١٤٤٦ هـ الثمن ١٠ جنيهات

إعمال الفكر في قواعد الذكر

رمضان
١٤٤٦ هـ

رد نفثات المشككين في وجوب الصوم على المكلفين

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٦٤٥ السنة الرابعة والخمسون - رمضان ١٤٤٦ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.

للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى بالجنيه المصري .

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

السلام عليكم

أنصار السنة المحمدية ترفض تهجير الفلسطينيين إلى سيناء أو إلى غيرها

ترفض جمعية أنصار السنة المحمدية بمصر، محاولات تهجير الفلسطينيين أصحاب الأرض، فأيّ دين وأيّ عُرف في زمن الديمقراطية والحرية التي يتحدّثون عنها يُقرّ هذه الإبادة التي لم يُعرَف لها مثيل بشهادة العالم كله قرابة عام ونصف؛ في محاولة لسلب الأرض من أصحابها.

لا بدّ أن يتأكد لدى الجميع أن أرض غزة أرض فلسطينية عربية، وستظل كذلك بإذن الله، وأن أيّ طرح لقضية التهجير إنما الغرض منه تصفية هذه القضية، والاستيلاء على أرض فلسطين.

كما يجب على الجميع أن يعلم أن مصر، وهي قلب العروبة، على قلب رجل واحد خلف قائدها وجيشها تُثمّن دور القيادة التي أعلنت بشكل واضح الرفض الكامل للتهجير.

حفظ الله مصر قيادة وجيشًا وشعبًا وسائر بلاد المسلمين.

والله من وراء القصد.

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالا ، الإمارات ١٢ درهمًا ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الالكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

فهرس العدد

رمضان شهر الإحسان — الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد — ٢
باب التفسير — د. عبد العظيم بدوي — ٥
مدخل إلى العقيدة الإسلامية — د. عبد الله شاكر — ٨
رد نفثات المشككين في وجوب الصوم على المكلفين د. أيمن خليل — ١١
فضل الصوم — د. جمال المراكبي — ١٧
الحكمة من الصيام — أ. عبد العزيز مصطفى الشامي — ٢١
رمضان شهر التوبة الصادقة — الشيخ صلاح نجيب الدّق — ٢٥
وعجلت إليك رب لترضى — أ.د. محمد حامد — ٣٠
واحة التوحيد — د. علاء خضر — ٢٨
رمضان شهر القرآن — د. محمد عبد العزيز — ٣٦
تحذير الداعية من القصص الواهية — الشيخ علي حشيش — ٣٩
من نفحات الإيمان في شهر القرآن — د. محمد عبد العليم الدسوقي — ٤٣
حقيقة الوحي — الشيخ مصطفى البصراتي — ٤٧
غزوة بدر.. دروس وعبر — الشيخ إبراهيم حافظ رزق — ٤٩
ترويض اللسان في شهر رمضان — الشيخ صلاح عبد الخالق — ٥٢
رمضان شهر الجود والاحسان — الشيخ عبده أحمد الأقرع — ٥٥
إعمال الفكر في قواعد الذّكر — د. أحمد بن سليمان أيوب — ٥٨
رمضان والتربية — الشيخ عادل شوشة — ٦٢

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

رمضان شهر الإحسان

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

الحمد لله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ:

فإن الله تعالى شرع لعباده من العبادات ما يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة، ومن ذلك عبادة الصيام، والتي من مقاصدها: الترقي بالمسلم إلى درجة الإحسان؛ فهو يدع طعامه وشرابه مع حاجته إلى ذلك، بل وفي مكان لا يطلِّع عليه أحد، ولا يفعل ذلك إلا إيمانًا بالله تعالى، ويقينًا بأن الله يراه. وإذا حقَّق العبد ذلك فإن الله تعالى وعده أن يكون الجزاء من عنده سبحانه بغير حدّ ولا عدّ، ففي حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: الصَّوْمُ لي وأنا أَجْزِي به، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وأَكْلَهُ وشُرْبَهُ من أَجْلِي، والصَّوْمُ جُنَّةٌ، وللصائم فَرْحتان: فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ، وفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ، ولَخُلُوفُ فَمِ الصائم أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ من رِيحِ المِسْكِ». صحيح البخاري (٧٤٩٢).

فالصائم حقًّا هو الذي لا يعتريه شك أن الله تعالى يراه على كل حال، وهذه درجة الإحسان، ففي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، أن جبريل سأل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- عن الإحسان فقال: «أن

تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، وقد عرَّف ابن منظور الإحسان بأنه ضد الإساءة، كما ذكر حديث جبريل في الإحسان، وقال: إن تأويل الحديث: قوله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (النحل: ٩٠)، وأراد بالإحسان: الإخلاص، وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام معًا، وذلك أن من تلفظ بالكلمة وجاء بالعمل من غير إخلاص لم يكن محسنًا.

ولا يزال الكلام لصاحب لسان العرب، قال: وقيل أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحُسن الطاعة: فإن مَن راقب الله أحسن عمله. وقد أشار إليه في الحديث بقوله: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، وقوله-عز وجل-: «هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ» (الرحمن: ٦٠)، أي: ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يُحسَن إليه في الآخرة، والصيام الصحيح يُحقِّق للعبد درجة المراقبة الصحيحة فيوقن بقوله تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (النساء: ١).

وقال جل ذكره: «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ» (النحل: ٩٠)، قال الطبري-رحمه الله-: "والإحسان الذي أمر الله به تعالى ذكره مع العدل هو الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى في الشدة والرخاء والمكره والمنشط".

وقال ابن كثير: "والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته، كما قال سبحانه: «وَاللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (البروج: ٩)".

قال القرطبي في تفسيرها: "أي عالم بأعمال خلقه لا تَخفى عليه خافية"، فلتكن عقيدة المسلم أن الله يراه قال تعالى: «وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ» (الشعراء: ٢١٧-٢١٨).

لهذا وغيره كان الصيام جامعة لتحقيق منزلة المراقبة: فالصائم حقًّا يراقب الله في كل أحواله، فالصائم بإمكانه أن يختفي عن أعين الناس، ويأتي ما شاء من مفطرات الصيام ثم يخرج إلى الناس زاعمًا أن الصيام قد أرهقه، ولا شك أن الذي دعاه لترك ذلك هو مراقبة الله تعالى في السر قبل العلن.

والمتأمل في سِيَر السابقين من الصالحين يرى كيف كانت درجة الإحسان عندهم؛ فهذا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم يراقب الله ويؤمن بأن الله يراه في موقف لا يعرف معناه إلا شاب أعزب بل وتدعوه امرأة ذات منصب وجمال وتهيء له كل أسباب الوقوع في الفاحشة؛ قال تعالى: «وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ» (يوسف: ٢٣).

لقد كانت مراقبة الله وحُسْن الظن به سببًا في تحرُّك الصخر وتفريج الكرب في قصة الثلاثة الذين انطبقت الصخرة على باب غارهم؛ فهذا الذي وصل إلى هدفه ليحقق ما تمنّاه، قال: اللهم إنه كانت لي ابنة عمّ وكانت أحب الناس إليَّ، وفي رواية "كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فراودتها عن نفسها فامتنعت حتى ألمّت بها سَنَة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها"، وفي رواية "قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه".

وهنا جاء دور المراقبة وذكّرته بالله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فأيقن أن الله مطلع عليه فيقول: "فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها" صحيح البخاري (٢٢١٥).

وقد ورد في الصحيحين في حديث السبعة الذين

يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله "ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله» صحيح البخاري (١٤٢٣).

والعبد إذا ترقى على درجة الإحسان فإنه ينصرف عن المعصية ليقينه أن الله يراه قال تعالى: «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ» (غافر: ١٩)، ودرجة الإحسان هي الموصلة إلى الخشية والتي تصل بالعبد إلى المغفرة والأجر الكبير: «إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» (الملك: ١٢).

فالخوف من الله تعالى هو طريق النعيم؛ قال تعالى: «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ» (الرحمن: ٤٦).

وعلى المسلم أن يتدبر في أسماء الله تعالى: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا» (الأعراف: ١٨٠)، فإن الإيمان الصادق بأسمائه سبحانه تدعوه إلى حسن الظن بالله، وبأنه سبحانه السميع، وهذا يدعوه لمراقبته سبحانه في كل ما يتلفظ به. «مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (ق: ١٨).

واسمه تعالى (البصير) يدعو العبد للتبصر بمقتضى هذا الاسم فيغض بصره عن كل ما حرم الله تعالى، وكذلك اسم (الرقيب والعليم) وغيرها من أسماء الله تعالى التي تورث العبد مراقبة الله تعالى، وأنه سبحانه يرى ويسمع ويعلم ويحيط بكل شيء علمًا: «مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (المجادلة: ٧).

كما أن ذلك يُرسّخ في قلب المؤمن قُرْب الله تعالى منه؛ حيث قال سبحانه: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» (ق:١٦)، وإذا كان الصيام يرتقي بالعبد إلى درجة الإحسان حال صيامه فإن الواجب عليه أن يعلم أن الله تعالى يراه على كل حال؛ ففي صلاة يُوقن أن الله ينصب وجهه من وجه عبده ما لم يلتفت، وفي زكاته يخرجها طيبةً بها نفسه موقنًا أن الله تعالى قال: «وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ» (البقرة ٢٧٢).

وهكذا يكون الصيام هو الطريق إلى الإحسان في كل الأعمال؛ حيث يشمل الإحسان أمور الدنيا والآخرة، فالتاجر المحسن لا يتاجر بأزمات الناس ولا يتلاعب بأقواتهم ولا يحتكر، بل يراقب الله ويؤمن بأنه سبحانه الرزاق ذو القوة المتين، وهكذا كل عامل في مجاله؛ فالمدرس يراقب الله ويوقن أن الله يسمعه ويراه فيحسن في عمله على أيِّ حال وأمام أي مقابل، والمهندس والصانع يتقي الله في عمله؛ امتثالًا لقوله تعالى: «وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» (البقرة: ١٩٥).

ومن أعلى درجات الإحسان: الإحسان إلى الوالدين ، فهو من قبة الإيمان حيث أمر الله تعالى عباده بالإحسان إليهما حتى في القول، فقال تعالى: «وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا»، «فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ».

قال ابن كثير: أي كلموهم طيبًا، ولينوا لهم جانبًا، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن بالمعروف كما قال الحسن البصري؛ فالمحسن في القول: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح، ويتعامل بالإحسان راجيًا وجه الله تعالى، سائلًا الله تعالى أن يرزقه تأييده ونصره ومعونته امتثالًا لقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ» (النحل: ١٢٨).

قال ابن كثير: «وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ» أي فعلوا الطاعات، فهؤلاء الله يحفظهم ويكلؤهم وينصرهم ويؤيدهم ويظفرهم على أعدائهم ومخالفيهم.

فاللهم وفِّقنا للصيام الذي يرقى بنا إلى درجة الإحسان واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين أجمعين.

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب
سورة الأحزاب

قال الله تعالى: « إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا »

(الأحزاب: ١٠- ١٦).

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لَقَدْ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ الكريمُ عَنْ غَزْوَةِ الأَحْزَاب في سَبْعَ عَشْرَةَ آيَةً من سُورَةِ الأَحْزَاب. والْقُرْآنُ حين يَتَحَدَّثُ عَنِ الْغَزَوات لا يَتَحَدَّثُ عَنْهَا بطريقة واحِدَة، فَهُوَ تَارَةً يُغْفِلُ ذِكْرَ الأَسْبَاب والْمُقَدِّمَات، وتَارَةً يَهْتَمُّ بالنَّتَائج والنِّهَايَات، وتَارَةً يُفَصِّلُ في مَجْرَيَات أَحْدَاث الْغَزْوَة، وتَارَةً يُقْرِنُ بَيْنَ الْمُقَدِّمَات والنِّهَايَات والأَحْدَاث في نَسَقٍ واحد مُؤْتَلِف، وكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِه تَحْكُمُهَا طَبِيعَةُ الْغَزْوَة، ومَكَانَتُهَا، وأَثَرُهَا في الْوَاقِع الإِسْلاميِّ الْعَامّ.

وَغَزْوَةُ الأَحْزَاب جَمَعَتْ بَيْنَ أولئك جميعًا، فَقَدْ تَحَدَّثَت الآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ عَنْ مُقَدِّمَاتها، ونِهَايَتِها، وَمَجْرَيَاتها في إِيجاز بَلِيغ، لا يُمْكِنُ لِلْعَقْل وَحْدَهُ أَنْ يَعْمَلَ في تَصَوُّرِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِلْإِيمَان الدَّوْرُ الأَظْهَرُ وَالأَمْثَلُ في تَكْوِين الصُّورَة واكْتِمَالها عَنْهَا. (السيرة النَّبوية العطرة: ٣١١).

يَبْدَأُ السِّيَاقُ الْقُرْآنِيُّ الْحَدِيثَ عَنْ حَادِث الأَحْزَاب بِتَذْكِير الْمُؤْمِنِينَ بِنِعْمَة الله عَلَيْهِمْ أَنْ رَدَّ عَنْهُمُ الْجَيْشَ الَّذي هَمَّ أَنْ يَسْتَأْصِلَهُمْ، لَوْلا عَوْنُ الله وَتَدْبِيرُهُ اللَّطيف. وَمِنْ ثَمَّ يُجْمِلُ في الآيَة الأُولَى طَبِيعَةَ ذَلِكَ الْحَادِث، وَبَدْءَهُ وَنِهَايَتَهُ، قَبْلَ تَفْصِيله وَعَرْض مَوَاقِفه، لِتَبْرُزَ نِعْمَةُ الله الَّتي يُذَكِّرُهُمْ بِهَا، وَيَطْلُبُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَتَذَكَّرُوهَا، وَلِيَظْهَرَ أَنَّ الله الَّذي يَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ بِاتِّبَاع وَحْيِه، وَالتَّوَكُّل عَلَيْه وَحْدَهُ، وَعَدَم طَاعَة الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِين، هُوَ الَّذي يَحْمِي الْقَائِمِينَ عَلَى دَعْوَته وَمَنْهَجه، مِنْ عُدْوَان الْكَافِرِين وَالْمُنَافِقِين.

تذكير ربِّ العالمين عبادَهُ المؤمنين بنعمة ردّ الكافرين بغيظهم:

يَقُولُ تَعَالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ » (الأحزاب:٩):

يَقُولُ جَلَّ ذِكْرُهُ: يَا مَنْ رَضِيتُمْ بالله رَبًّا، وَبالإسْلام دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، اذْكُرُوا مَا أَنْعَمَ الله بِه عَلَيْكُمْ

يَوْمَ الأَحْـزَابِ «إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ» وَهُمُ الأَحْـزَابُ: قُرَيْش، وَأَسَدٌ وَغَطَفَانُ، وَبَنُو النَّضِيرِ، وَبَنُو قُرَيْظَةَ، وَكَانُوا زُهَاءَ عَشَرَةِ آلَافٍ. «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا» وَهِـيَ الصَّبَا، كَمَا قَالَ-صلى الله عليه وسلم-: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ» (صحيح البخاري: ١٠٣٥).

فَفَعَلَتْ بِهِمُ الصَّبَا الأَفَاعِيلَ، حَيْثُ لَمْ تُبْقِ لَهُمْ نَارًا إِلَّا أَطْفَأَتْهَا، وَلَا قِدْرًا عَلَى الأَثَافِيِّ إِلَّا أَرَاقَتْهُ، وَلَا خَيْمَةً وَلَا فُسْطَاطًا إِلَّا أَسْقَطَتْهُ وَأَزَالَتْهُ، حَتَّى اضْطُرُّوا إِلَـى الرَّحِيلِ. «وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا» وَهُمُ المَلَائِكَةُ، فَأَصَابَتْهُمْ بِالْفَزَعِ وَالرُّعْبِ، الأَمْـرُ الَّذِي أَفْقَدَهُمْ كُلَّ رُشْدِهِمْ وَصَوَابِهِمْ، وَرَجَعُوا يَجُرُّونَ أَذْيَالَ الْخَيْبَةِ وَالْهَزِيمَةِ. (أيسر التفاسير: ٥٤٦/٣).

«وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» قُرِئَتْ بِتَاءِ الْخِطَابِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَبِالْيَاءِ لِلْكَافِرِينَ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَعْمَالُكُمْ وَلَا أَعْمَالُهُمْ، وَسَيَجْزِي كُلًّا بِعَمَلِهِ، الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

مجيء الأحزاب:

وَهَكَذَا رَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى غَـزْوَةً كَامِلَةً بِمُقَدِّمَاتِهَا وَمَجْرَيَاتِهَا وَنِهَايَتِهَا فِي آيَـةٍ وَاحِـدَةٍ، ثُمَّ أَخَـذَ فِي تَفَاصِيلِ الأَحْدَاثِ وَالْوَقَائِعِ:

فَقَالَ تَعَالَى: «إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ» مِنْ فَوْقِ الْوَادِي مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، وَهُمْ أَسَدٌ، وَغَطَفَانُ، وَعَلَيْهِمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ، فِي أَلْـفٍ مِنْ غَطَفَانَ، وَمَعَهُمْ طُلَيْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ الأَسَدِيُّ فِي بَنِي أَسَدٍ، وَحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ فِي يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ، «وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» يَعْنِي: مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، وَهُمْ قُرَيْشٌ وَكِنَانَةُ، عَلَيْهِمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فِي قُرَيْشٍ وَمَنْ تَبِعَهُ، وَأَبُو الأَعْوَرِ عَمْرُو بْنُ سُفْيَانَ السُّلَمِيُّ مِنْ قِبَلِ الْخَنْدَقِ.

حال المؤمنين يوم الأحزاب:

«وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ» مَالَتْ وَشَخَصَتْ مِنَ الرُّعْبِ، «وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَـاجِرَ» فَـزَالَتْ عَـنْ أَمَاكِنِهَا حَتَّى بَلَغَتِ الْحُلُـوقَ مِـنَ الْفَـزَعِ (معالم التنزيل: ٤٤٥/٤)، «وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا» الْمُخْتَلِفَةَ مِنْ نَصْرٍ وَهَزِيمَةٍ، وَسَلَامَةٍ وَعَطَبٍ، وَهَذَا تَصْوِيرٌ لِلْحَالِ أَبْدَعَ تَصْوِيرٍ، وَهُوَ كَمَا ذَكَرَ تَعَالَى حَرْفِيًّا، «هُنَالِكَ» أَيْ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ الَّذِي حَدَّقَ الْعَدُوُّ بِكُمْ «ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ» أَيِ اخْتَبَرَهُمْ رَبُّهُمْ لِيَرَى الثَّابِتَ عَلَى إِيمَانِهِ الَّذِي لَا تُزَعْزِعُهُ الشَّدَائِدُ وَالْفِتَنُ مِنَ السَّرِيعِ الانْهِزَامِ وَالتَّحَوُّلِ لِضَعْفِ عَقِيدَتِهِ وَقِلَّةِ عَزْمِهِ وَصَبْرِهِ، «وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا» أَيْ أُزْعِجُوا وَحُرِّكُوا حِرَاكًا شَدِيدًا لِعَوَامِلِ قُوَّةِ الْعَدُوِّ وَكَثْرَةِ جُنُودِهِ، وَضَعْفِ الْمُؤْمِنِينَ وَقِلَّةِ عَـدَدِهِمْ، وَعَامِلِ الْمَجَاعَةِ وَالْحِصَارِ، وَالْـبَرْدِ الشَّدِيدِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. (أيسر التفاسير: ٥٤٦/٣).

من حكم الابتلاء:

وَمِنْ حِكَمِ الابْتِلَاءِ أَنَّهُ يَمِيزُ الطَّيِّبَ مِنَ الْخَبِيثِ، وَالصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ، وَالْمُؤْمِنَ مِنَ الْمُنَافِقِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ» (آل عمران ١٧٩)، وَقَالَ تَعَالَى: «أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ» (العنكبوت: ٢، ٣)، وَقَالَ تَعَالَى: «وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ» (العنكبوت: ١١).

أحوال المنافقين يوم الأحزاب:

وَقَـدْ أَظْهَرَ هَـذَا الْبَـلَاءُ الَّـذِي أَصَـابَ النَّاسَ يَـوْمَ الأَحْــزَابِ الْمُنَافِقِينَ عَلَى حَقِيقَتِهِمْ، فَانْطَلَقَتْ أَلْسِنَتُهُمْ تُعَبِّرُ عَمَّا تُخْفِي صُدُورُهُمْ، وَكَانُوا طَوَائِفَ: «وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُـرُورًا»، وَذَلِـكَ حِينَ بَشَّرَ النَّبِيُّ-صلى الله عليه وسلم- أَصْحَابَهُ بِفَتْحِ بِلَادِ فَارِسَ وَالـرُّومِ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ: يَعِدُنَا مُحَمَّدٌ بِفَتْحِ كُنُوزِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَبَرَّزَ فَرَقًا، مَا هَذَا إِلَّا وَعْدُ غُرُورٍ.

«وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَـثْرِبَ» هُوَ اسْمُ الْمَدِينَةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ-صلى الله عليه وسلم- أَنْ تُسَمَّى بِهَا كَرَاهَةً لَهَا، وَقَالَ «هِيَ طَيْبَةُ» أَوْ «طَابَةُ» (صحيح مسلم ١٣٨٤)، وَكَأَنَّهُمْ ذَكَرُوهَا بِذَلِكَ الاسْمِ مُخَالَفَةً لَهُ-صلى الله عليه وسلم-،

ونداؤهم إياهم بعنوان أهليتهم لها ترشيح لما بعده من الأمر بالرجوع إليها، «لا مقام لكم» لا موضع إقامة لكم، أو لا إقامة لكم ههنا، يريدون المعسكر، «فارجعوا» أي إلى منازلكم بالمدينة، مرادهم الأمر بالفرار، لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم، وإيذانا بأنه ليس من قبيل الفرار المذموم. (إرشاد العقل السليم: ٥/٢١٥).

وتجيء طائفة ثالثة تريد أن تستر عورتها، وتواري سوءتها، فتتظاهر بالأدب والاحترام لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- فتستأذن بالانصراف، متعللة بعلة كاذبة، «إن بيوتنا عورة» وهم كذبة في ذلك، ومن ثم بادر الله بتكذيبهم فقال: «وما هي بعورة إن يريدون» باستئذانهم «إلا فرارا» من القتال، ولكن جعلوا هذا الاستئذان وسيلة وعذرا.

وهنا يقف السياق ليرسم صورة نفسية لهؤلاء المنافقين والذين في قلوبهم مرض، صورة نفسية داخلية لوهن العقيدة، وخور القلب، والاستعداد للانسلاخ من الصف بمجرد مصادفة، غير مبقين على شيء، ولا متجملين لشيء.

«ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا»، ذلك كان شأنهم والأعداء بعد خارج المدينة، ولم تقتحم عليهم بعد. ومهما يكن الكرب والفزع، فالخطر المتوقع غير الخطر الواقع، فأما لو وقع واقتحمت عليهم المدينة من أطرافها، «ثم سئلوا الفتنة» وطلبت إليهم الردة عن دينهم «لآتوها» سراعا غير متلبثين، ولا مترددين «إلا يسيرا» من الوقت، أو إلا قليلا منهم يتلبثون شيئا ما قبل أن يستجيبوا ويستسلموا ويرتدوا كفارا، فهي عقيدة واهنة لا تثبت، وهو جبن غامر لا يملكون معه مقاومة.

وهكذا يكشفهم القرآن، ويقف نفوسهم عارية من كل ستار، ثم يصمهم بعد هذا بنقض العهد وخلف الوعد، ومع من؟! مع الله الذي عاهدوه من قبل على غير هذا، ثم لم يراعوا مع الله عهدا: «ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا».

وصدق العهد أو تخلفه لا يظهر إلا تحت منظار التجربة، والبطء في ظهور حقيقة العهد أو السرعة فيه لجسامة التجربة أو صغرها، وقد كانت التجربة في غزوة الأحزاب جسيمة ضخمة، لذا ما لبث عهد المنافقين أن بدا تخلفه في لواذهم ببيوتهم، وفرارهم من أرض القتال، وتبريرهم ذلك بأن بيوتهم مكشوفة للأعداء، فهم يريدون حمايتها والدفاع عنها، وربما داخلهم ريب أن المشركين إن دخلوا المدينة فلا يفرقون بين المؤمنين والمنافقين في القتل والإيذاء، فليأخذوا الحيطة إذا لأنفسهم، وليمتنعوا في بيوتهم، فإذا دخل المشركون المدينة علموا أنهم لم يقاتلوهم، ولم يصدوهم عن دخولها، فنجوا من سيوفهم وأسلحتهم، ونالوا منهم خيرا. لكن مع كل ما منوا به أنفسهم من النجاة، وأخذهم الحيطة لأنفسهم، فإن شيئا مما فعلوا لن يرد عنهم الموت، ولن يدفع عنهم الهلاك، لأن الأسباب ليس لها حساب في تدبير الله وتقديره، فهي معطلة إذا أراد الله سبحانه شيئا (السيرة النبوية العطرة: ٣١٨و٣١٨).

قال تعالى: «قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا»:

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-: «قل» يا نبينا، لهؤلاء الذين يستأذنوك في الانصراف عنك ويقولون إن بيوتنا عورة: «لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل» يقول: لأن ذلك، أو ما كتب الله منهما، واصل إليكم بكل حال، كرهتم أو أحببتم، «وإذا لا تمتعون إلا قليلا» يقول: وإذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وآجالكم، بل إنما تمتعون في هذه الدنيا إلى الوقت الذي كتب لكم، ثم يأتيكم ما كتب لكم وعليكم. (جامع البيان: ٢١/١٣٧و١٣٨).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد: فقد تناولنا في المقال السابق حُجية السنة النبوية، ونتكلم في هذا المقال عن أقسام السنة ودورها في مسائل الاعتقاد.

أقسام الخبر باعتبار عدد رواته وما يُفيده كل قسم: ويشتمل على النقاط التالية:

أ- أقسام الخبر باعتبار عدد رواته:

ينقسم الخبر باعتبار عدد رواته إلى: متواتر وآحاد.

القسم الأول: الخبر المتواتر:

التواتر في اللغة: هو التتابع.

أما الخبر المتواتر في اصطلاح الأصوليين: فقد اختلفت عبارات الأصوليين في تعريف الخبر المتواتر، وإن كانت متفقة في المعنى، وهذه بعض تعريفاتهم:

يقول ابن الحاجب رحمه الله معرفًا الخبر المتواتر بأنه: «خبر جماعة مفيد بنفسه العلم بصدقه».

وقال الآمدي: «والحق أن المتواتر في اصطلاح المتشرعة عبارة عن خبر جماعة مفيد بنفسه العلم بمخبره».

فكل منهما قيَّده بكونه «خبر جماعة»: احترازًا من الخبر الواحد؛ وبكونه «مفيدًا بنفسه العلم»: احترازًا من خبر جماعة لا يفيد العلم بنفسه، وإنما أفاد العلم بغير نفسه، كالخبر المحتفي بالقرائن أو بغير القرائن.

تعريف الخبر المتواتر عند أهل الحديث:

ذكر ابن الصلاح رحمه الله: أن أهل الحديث لا يذكرونه باسمه الخاص المشعر بمعناه الخاص، وإن كان الحافظ الخطيب قد ذكره؛ ففي كلامه ما يُشعر بأنه اتبع فيه غير أهل الحديث، ولعل ذلك لكونه لا تشمله صناعتهم، ولا يكاد يوجد في رواياتهم، فإنه عبارة عن الخبر الذي ينقله مَن يحصل العلم بصدقه ضرورة، ولا بدَّ في إسناده من استمرار هذا الشرط في رواته من أوله إلى منتهاه.

ولعل ما ذكره ابن الصلاح من عدم ذكْر أهل الحديث لتعريفه خاص بالقدماء منهم؛ لأن متأخريهم يعرفونه بما يتفق مع تعريف أهل الأصول، وإن لم يفصلوا فيه القول مثل أهل الأصول.

وما أشار إليه من تعريف الحافظ الخطيب له، فهو قوله: «فأما الخبر المتواتر فهو: ما يُخبر به القوم

الذين يبلغ عددهم حدًا، يعلم عند مشاهدتهم بمستقر العادة أن اتفاق الكذب منهم محال، وأن التواطؤ منهم في مقدار الوقت الذي انتشر الخبر عنهم فيه متعذر، وأن ما أخبروا عنه لا يجوز دخول اللبس والشبهة في مثله، وأن أسباب القهر والغلبة والأمور الداعية إلى الكذب منتفية عنهم؛ فمتى تواتر الخبر عن قوم هذه سبيلهم قطع على صدقة، وأوجب وقوع العلم ضرورة».

القسم الثاني: خبر الآحاد:

الآحاد: جمع أحد، وهو بمعنى الواحد، وهمزة «أحد» مبدلة من واو، فأصلها «وحد»، وربما جاءت على الأصل كما في قول نابغة ذبيان:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا
لذي الجليل على مستأنس وحد

ويجمع الواحد على «أحدان»، والأصل: وحدان، فقلبت الواو همزة لانضمامها.

وعرف خبر الآحاد بأنه: «الخبر الذي لم ينته إلى حد التواتر، ولم يقصر على درجة الاحتجاج، وإن روته جماعة»؛ وعليه فالمشهور-أي: الحديث المشهور- من خبر الآحاد؛ إذ لا واسطة بين المتواتر والآحاد.

ب- ما يفيده كل قسم:

أولا: ما يفيده الخبر المتواتر:

ذكر أهل العلم أقوالًا في نوع العلم الحاصل من الخبر المتواتر:

القول الأول: أن الخبر المتواتر يفيد العلم النظري، وهو ما كان عن نظر واستدلال، وهذا منقول عن الكعبي وأبي الحسين البصري.

القول الثاني: أنه يفيد العلم الضروري، وهو الذي يضطر الإنسان إليه؛ بحيث لا يمكنه دفعه، وهذا هو المعتمد، وبه قال الجمهور. يعني: أن الجمهور ذهبوا إلى أن الخبر المتواتر يفيد العلم الضروري.

ثانيا: ما يفيده الخبر الواحد:

ذهب الإمام أحمد-رحمه الله- في إحدى الروايتين عنه: إلى أن خبر الواحد العدل يفيد القطع إذا صح، واختار ذلك جماعة من أصحابه، منهم: ابن أبي موسى وغيره، ونصر ذلك القاضي في (الكفاية) واختار هذا القول الحارث المحاسبي، وهو قول جمهور أهل الظاهر، وجمهور أهل الحديث.

قال ابن حزم-رحمه الله-: وقد يضطر خبر الواحد إلى العلم بصحته، إلا أن اضطراره ليس بمضطرد ولا في كل وقت، ولكن على قدر ما يتهيأ، فهذا قسم. والقسم الثاني من الأخبار: ما نقله الواحد عن الواحد، فهذا اتصل بروايه العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب العمل به، ووجب العلم بصحته أيضًا. وقال ابن القيم-رحمه الله- «فممَّن نصَّ على أن خبر الواحد يفيد العلم: مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة؛ وداود بن علي وأصحابه: كأبي محمد بن حزم، ونص عليه الحسين بن علي الكرابيسي، والحارث بن أسد المحاسبي».

قال ابن القيم-رحمه الله-: وصرحت الحنفية في كتبهم بأن الخبر المستفيض يُوجب العلم، ومثلوه بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا وصية لوارث» قالوا: ومع أنه إنما روي من طريق الآحاد، قالوا: ونحوه ابن مسعود في المتبايعين إذا اختلفا. إن القول قول البائع أو يترادان، قالوا: ونحوه حديث عبد الرحمن بن عوف في أخذ الجزية من المجوس، قالوا: وكذلك حديث المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة في إعطاء الجدة السدس.

وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة، والعمل بالصحيح فقط:

ويشتمل على النقاط التالية:

أ- وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة:

لما اختلف العلماء-رحمهم الله تبارك وتعالى- في إفادة خبر الواحد للعلم أو عدم إفادته العلم، كان لهذا الاختلاف أثر في: هل يُؤخَذ بأحاديث الآحاد في العقيدة والأحكام، أو يُعمَل بخبر الواحد في الأحكام فقط دون العقائد؟ فالذين قالوا: بأن

خبر الواحد العدل إنما يفيد الظن، قالوا: يحتج به في الأحكام دون العقائد؛ لأن الآحاد لا تفيد اليقين، والعقائد لا بد فيها من اليقين، وما ذكروه من التفريق بين ما يقبل فيه خبر الواحد وما لا يقبل فيه يعترض عليه بما يأتي.

الأول: أننا يمكننا أن نطالبهم بفرق صحيح بين ما يجوز إثباته بخبر الواحد العدل من الدين وبين ما لا يجوز إثباته.

الثاني: أن القائلين بإفادته للعلم والقائلين بإفادته للظن اتفقوا على نقل إجماع الصحابة والتابعين على العمل به، ولم يرد عن أحد منهم أن أحدًا من الصحابة منع الاستدلال بخبر الواحد في العقائد؛ لكونه لا يفيد إلا الظن، وأن العقائد لا يحتج فيها إلا بما يفيد القطع، بل الوارد عنهم قبول الخبر متى صح مطلقًا، وتخصيص ذلك بالأحكام دون العقائد يحتاج إلى دليل من كتاب أو سنة أو إجماع قطعي.

الثالث: ما تواتر من إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله وسُعاته إلى الآفاق والملوك المجاورين لجزيرة العرب والقبائل كذلك؛ لتبليغ الرسالة وتعليم الأحكام، وحل العهود وتقريرها، وقبض الزكوات وفصل الخصومات ونحو ذلك، فمن ذلك: أنه صلى الله عليه وسلم بعث دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل عظيم بصرى، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي بكتابه إلى كسرى، وعمرو بن أمية الضمري إلى الحبشة، وعثمان بن العاص إلى الطائف، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بدمشق، وسليطة بن عمرو العامري إلى هوذة بن خليفة باليمامة.

ولم يبعث هؤلاء إلا ليقيم بهم الحجة على مَن بُعثوا إليهم، ومن المعلوم: أن أهم ما بُعث به هؤلاء هو الدعوة إلى التوحيد، وقد ثبت باتفاق أهل السير، أنه صلى الله عليه وسلم كان يلزم مَن بعث إليهم رسله بقبول قول رسله وحكامه وسعاته، ولو احتاج في كل رسالة إلى إرسال عدد التواتر؛ لم يف بذلك جميع أصحابه، ولخلت دار هجرته صلى الله عليه وسلم من أنصاره، وتمكَّن منه أعداؤه، وفسد النظام والتدبير، وهذا أمر باطل لا شك في بطلانه؛ فتبين مما ذكر أن خبر الواحد حجة توجب العمل كخبر التواتر، فكما يجب العمل بخبر التواتر في كل ما دل عليه، سواء كان في الأحكام أم العقائد، فكذلك أيضًا ما دل عليه خبر الواحد العدل.

فإن قيل: إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث رسله وسعاته لتعليم الأحكام وجباية الزكاة وتوزيعها فحسب، دون الدعوة إلى التوحيد؟ أُجيب عنه: بأنه ورد التصريح في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى الملوك بالدعوة إلى التوحيد.

فمن ذلك: ما أخرجه البخاري عن ابن عباس: «أنه قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا إلى نحو أهل اليمن، قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك: فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا: فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم؛ فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوقَّ كرائم أموال الناس».

وهذا الحديث نص في محل النزاع؛ لأنه يبيِّن بوضوح أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر معاذًا أن يبدأ أهل اليمن في دعوتهم إلى الله بتوحيد الله- تبارك وتعالى-

وللحديث صلة إن شاء الله تعالى،

والحمد لله رب العالمين.

رد نفثات المشككين في وجوب الصوم على المكلفين

إعداد **د. أيمن خليل**
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد: فقد فرض الله سبحانه وتعالى على عباده صومَ شهر رمضان، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣). وجعله أحد أركان الإسلام، لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بُنِيَ الإسْلامُ على خَمْسٍ: شَهادَةِ أنْ لا إلَهَ إلّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضانَ" متفق عليه.

ولم يختلف في فرضية الصوم اثنان؛ ولم ينتطح في ذلك عنزان طيلة قرون عديدة، حتى ظهرت دعوات إلى تعطيل فريضة الصوم.

الحبيب بورقيبيه وتعطيل فريضة الصوم بزعم أنه يؤدي إلى تراجع الإنتاج:

خرج الرئيس التونسي الأسبق الحبيب بورقيبيه عام ١٩٦٠ يطلب من بني وطنه أن يفطروا في رمضان لأن الصوم يؤدي إلى قلة الإنتاج، والأمة تحتاج إلى العمل الدؤوب لتخرج من التبعية والانحطاط الذي هي فيه، ويستند بورقيبيه في ذلك إلى أنه إذا كان المسافر يباح له الفطر لبعض المشقة، فأولى منه بذلك العامل الذي يكسب قوت يومه من عمله، كما استند إلى أن الفطر أبيح للمجاهدين؛ والأمة حينما

تعمل وتنتج فإنها تكون في حال جهاد ، ورفض تأخير مواعيد العمل مراعاة لظروف هذا الشهر وتأخرهم في النوم لصلاة التراويح، واستيقاظهم للسحور وصلاة الفجر، وحاول حمل العلماء على تأييده ولكن رفض الشيخ محمد الطاهر بن عاشور إمام جامع الزيتونة وعميد كلية الشريعة (مفتي تونس فيما بعد) إصدار فتوى بذلك، وتلا قوله سبحانه " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام". يشير إلى فرض الصوم على جميع المكلفين، لأن "كُتِبَ" من الألفاظ التي تفيد الوجوب.

مزاعم خليل عبد الكريم من اليسار الإسلامي بشأن الصوم:

عند اعتناق مصر للنهج الاشتراكي في ستينيات القرن الماضي، انبرى كثيرون يتحدثون عن الاشتراكية في الإسلام تملقًا للحاكم وطلبًا لرضاه ، وظهرت بعض الرؤوس التي تريد أن تفرض الاشتراكية على جموع المسلمين، وذلك من خلال التفسير الاشتراكي للإسلام، في محاولة لإقناع المجتمع العربي المسلم بالتوافق بين الاشتراكية والإسلام، بدلا من الماركسية العلمية والتي تصادم المجتمع الإسلامي؛ لما توجبه من فرض الإلحاد قهرًا على المجتمعات الإسلامية.

وعُرِفَ الذين انتهجوا نظرية التفسير الاشتراكي للإسلام باليسار الإسلامي، أو بالإسلاميين التقدميين، وترجع التسمية إلى الدكتور/ حسن حنفي أهم المنظرين لهذا التيار، وكان من رواد اليسار الإسلامي الأستاذ/ خالد محمد خالد وظهر ذلك في كتابه "من هنا نبدأ" والذي أثار لغطًا كبيرًا حتى رد عليه الشيخ/ محمد الغزالي بكتابه " من هنا نعلم"، والدكتور/ مصطفى السباعي في سوريا، والذي صنف كتابه "اشتراكية الإسلام" والذي حاول فيه إيجاد غطاء شرعي لقانون الإصلاح الزراعي ، وتبرير مبدأ التأميم، والذي طبق في مصر.

ذهب المدعو الشيخ/خليل عبد الكريم (وكان من أعضاء جماعة التبليغ، وكان يتزيى بزيهم ويخرج معهم ، ولكنه كان يحسب على الفكر اليساري الماركسي، ولذا كان البعض يسميه بالشيخ الشيوعي) في مقال له نشر بجريدة الأهالي عام ١٩٩٦ تحت عنوان (الصيام فريضة المجتمع المعسكر) إلى أن الصوم إنما فرض في مرحلة زمنية محددة، وذلك لتدريب المسلمين على الجهاد ، وهو ما لم يعد له محل الآن، وحيث أصبح الجهاد الآن من خلال الجيوش النظامية المدربة، وهو ما يعني بزعمه أن الصوم لم تعد هناك حاجة إليه!!!.

استغلال الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني للطعن في أركان الإسلام:

كانت الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني محاولات حثيثة لم تنقطع - عقب الغزو الفرنسي ثم الإنجليزي لمصر- من بعض "المفكرين والمثقفين" الذين أرادوا علمنة المجتمعات الإسلامية، ظنًا منهم أنها ينبغي أن تحذو حذو المجتمعات الغربية التي لم تتقدم إلا بعدما تخلصت من نفوذ الكنيسة التي كانت أكبر عائق ضد تقدم الغرب، تلك الكنيسة التي رمت من يقول بكروية الأرض بالهرطقة(الكفر)، وحرقت من قال أن الأرض تدور حول الشمس. تلك الكنيسة التي كانت أكبر إقطاعي لكونها أكبر مالك للأرض على الإطلاق في أوروبا في هذه العصور؛ وللاختلاف الكبير بين ما حدث في أوروبا، وما يحدث في العالم الإسلامي (الذي أتت نكبته من الابتعاد

عن تعاليم دينه) لم تكن محاولات العلمنة هذه تأتي بثمار مرضية، وظل الأمر كذلك حتى كان حادث برجي التجارة بنيويورك في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١؛ والذي مثل فرصة سانحة للمتربصين ليقرنوا الإسلام بالارهاب، ولتبدأ مرحلة جديدة لإعادة صياغة الإسلام على نحو يُرضي الغرب، ففي أعقاب هذه الحادثة دعا الصحفي والكاتب الأمريكي اليهودي الصهيوني "توماس لورن فريدمان" إلى إعادة صياغة الإسلام وإعادة تشكيله، وتلقفت ذلك جهات بحثية عديدة منها مؤسسة راند التي أعدت أوراقًا بحثية عديدة هدفها إعادة تشكيل الإسلام على نحو يتوافق مع القيم الغربية، وإعادة صياغة مفهوم الاعتدال الإسلامي، على نحو يفرغ الإسلام من مضمونه ويحيله إلى مجرد طقوس وشعائر تؤدى. وقد تم العمل لتحقيق ذلك على محاور منها:

محور التعليم:

الذي يتلخص في تعديل مناهج التعليم، وإعادة النظر في كتب اللغة التي تستدل بالنصوص القرآنية، وهو ما ترتب عليه انتقاء نصوص الكتاب والسنة التي تدرج في الكتب المدرسية بعناية فائقة؛ بحيث تكون هذه النصوص في الجانب الأخلاقي فقط، فلا تتصل بوجوب الاقتصار على الإسلام الدين الحق، ولا بكفر من يفتري على الله الكذب حينما ينسب إليه الصاحبة والولد، كما تخلو هذه النصوص من وجوب تطبيق الحدود، ولا صلة لها بتحريم الربا والقمار، ولا حتى وجوب الحجاب، ناهيك عن حذف كافة الآيات المتعلقة بالجهاد في سبيل الله، ووصل الأمر إلى انتقاء الوقائع التاريخية التي يتم تدريسها، فغابت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، كما غابت الفتوحات الإسلامية، وتم تنحية سير الفاتحين، بهدف قطع الصلة بين هذه الأجيال وبين جذورها، وحتى تنسى هذه الأجيال ما كان عليه الأجداد من عز وأمجاد، فيرضوا بالواقع المرير، ولا يكون ثمة أمل لاستعادة هذه الأمجاد.

فضلا عن أن مسخ تعاليم الإسلام، وتكوين جيل ممسوخ هجين، يمكن معه نشر الفواحش في ديار الإسلام وتحويل الواقع المتدين(المحافظ) إلى مجتمع يجهر فيه بارتكاب المعاصي والمنكرات، برعاية الدول الإسلامية نفسها، ليصل الأمر إلى التنكيل بكل من يتمعر وجهه غضبًا لمحارم الله التي تنتهك في كل البقاع دون أي استثناء، ومع هذه الأجيال الممسوخة يصبح انتهاك الحرمات تمدنًا، ويصبح التعري والفجور فنًا وترفيهًا.

كما تم أيضًا فتح أبواب التعليم الحداثي مع إقصاء الأيديولوجية الدينية والقومية في مناهج التعليم، لتصبح هذه المدارس من أهم أدوات التغريب في العالم الإسلامي؛ وبعدما كانت البعثات والإرساليات أهم أدوات التغريب، لم يعد يشترط أن يسافر هؤلاء الطلاب إلى الغرب، إذ سيأتون هم إليه في داره، ولعل هذا مما يكشف عن سبب كثرة إنشاء المدارس الدولية والخاصة في دول العالم الإسلامي لإنشاء أجيال جديدة تتربى بعيدًا عن المعتقدات الدينية، وتتضلع من القيم الغربية وتتخلع من جذورها، فأجسامهم معنا وقلوبهم في الغرب.

محور السياسة:

عن طريق تهيئة التربة الصالحة لإنبات الديمقراطية الغربية في العالم العربي، وتداول السلطة بالطرق السلمية وإتاحة حرية التعبير؛ باعتبار أن الاستبداد من أهم الأسباب

التي تؤدي إلى التطرف، ولكن تأتي أهمية هذا المحور متأخرة، إذ تُعطى الأولوية لتحقيق التبعية الكاملة للغرب والقيام على مصالحه.

محور تجديد الخطاب الديني:

وأما أهم هذه المحاور فكان الدعوة إلى إعادة صياغة الدين وتشكيله على نحو يتوافق مع مفاهيم الغرب، وذلك تحت مسمى تجديد الخطاب الديني، واستغل بعض الذين يتحدثون العربية وينتسبون للمجتمعات الإسلامية - ولكنهم ينطقون باسم الغرب ويتشرَّبوا بأفكاره- دعوة "فريدمان" ودعاوى مؤسسة راند ليُلبِّسوا على الناس دينهم، وليلقوا بالشبهات تترًا ليصرفوا الناس عن الإسلام، وليوجهوا سهام النقد إلى أصوله الراسخة من قرآن وسنة صحيحة؛ ولينخروا في الأمة من داخلها لهدم بُنيانها وقواعدها، واستغل هذا التيار - المسخ الهجين-؛ الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني لإعادة صياغة الإسلام على نحو يتوافق مع أهوائهم وشهواتهم. فظهرت الدعوات تمسخ الإسلام وتشوه العقيدة حيث تنفي وجوب الإسلام وتجعل الجنة كلأ مباحًا لأتباع كافة الأديان - رغم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم-، ودعوة لا توجب الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم لدخول الجنة وانما يكفي الإيمان بالله فقط، ودعوات تشدد النكير على تكفير من كفره الله تعالى، ودعوات تنفي الحدود وتبطلها كافة، ودعوات تطعن في الجهاد، ودعوات تنفي وجوب الحجاب، ودعوات لإباحة الخمر التي لم تصنع من العنب، ودعوات للمساواة بين الأبناء في الميراث دون تفرقة بين ذكرهم وأنثاهم، وإلى إهدار الطلاق اللفظي، إلى غير ذلك من هذه الحرب الضروس التي لا تهدأ رحاها.

ولم تسلم أركان الإسلام من هذه الدعوات فقد امتد هذا العدوان إلى فريضة الصوم، فظهرت دعوات إلى تعطيل فريضة الصوم، فمن قائل إن الصوم ليس فريضة على كل مسلم وانما هو على سبيل التخيير، ومن قائل إن الصوم لا يجب إلا على الأغنياء فقط.

الزعم بأن الصوم ليس واجبًا وإنما المكلف مخير بين الصوم والإطعام:

ظهرت دعوات من بلاد الشام، ودعوات من بلاد

المغرب، يؤازرها أخرى من مصر يجمع بينهم جميعًا انتسابهم إلى (المشروع التنويري) يزعمون أن المقصود من الصيام هو إطعام الفقراء فلو أطعم الشخص مسكينًا كل يوم في رمضان فهذا أفضل له من الصيام، ومن أصحاب هذه التوجه المهندس محمد شحرور والذي يزعم أنّ الأمّة قد أخطأت في فهم آيات الصّيام، وأنّ الواجب على المسلمين ليس صيام شهر رمضان كاملًا دون أيّ خيارٍ آخر، وإنما هو التّخيير بين أن يصومَ الإنسان أو يطعم عن كلّ يوم مسكينًا. ولم ينتبه لقلة علمه إلى أن الآية منسوخة.وأنه لا خلاف بين أهل العلم في أن هذه الآية منسوخة، وأنها كانت في المرحلة الأولى من مراحل تشريع الصوم.

الزعم بأن الصوم فرض على الأغنياء فقط:

زعم بعض المنتسبين إلى ما يسمى " بالفكر التنويري" أن الصيام فرض على الأغنياء فقط؛ أما بالنسبة للفقراء فهو تطوع، وزعم أن الصيام ليس فرضًا على كل مصرى يقل راتبه عن ٥٠٠ دولار شهريًا. وأصحاب هذا القول الفاسد يخالفون الأدلة البينة على فرضية الصوم على كل مكلف من القرآن والسنة، كما أنهم يصادمون الإجماع الذي انعقد على أن الصوم فرض عين على كل مكلف.

ولم يدر بخلد كثيرين أنه زمان نحتاج فيه إلى الحديث عن وجوب الصوم؛ الذي هو ركن من أركان الإسلام يكفر جاحده؛ ولكن ونحن في عصر فشا فيه الجهل واستولت وسائل التواصل على زمام الأمور وأصبح الكل يُدلي بدلوه بغض النظر عن أهليته، ويتساوى فيها قول الفقيه العالم مع قول الخامل الجاهل، واستجاب بعض الأتباع لهؤلاء النواعق ، وهو ما نشير معه إلى ما كنا في غنى عنه لكونه معلومًا من الدين بالضرورة وهو أن الصوم فرض على كل مكلف، وأن ذلك ثابت من القرآن الكريم والسنة المطهرة والإجماع.

الصوم فرض على كل مكلف من القرآن الكريم:

هـو قـولـه عـز وجـل: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (البقرة: ١٨٣). والشاهد من الآيات أن الله تعالى أوجب الصيام على جميع المخاطبين بها وهم المؤمنين جميعًا ذكرهم وأنثاهم، غنيهم وفقيرهم؛ بل وعلى الحر والعبد ، لأن قوله تعالى: "كُتبَ عَلَيْكُمُ" معناه: فرض عليكم وهذا الخطاب لهم جميعًا لم يستثن منه إلا المريض والمسافر؛ فيباح لهما الفطر حال تحقق الرخصة وقضاء الأيام التي أفطرها عقب زوالها.

الصوم فرض على كل مكلف من السنة المطهرة:

وردت أحاديث عديدة تؤكد أن الله تعالى أوجب الصيام على جميع المكلفين منها:

١- حديث طلحة بن عبيد الله أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس ، يُسمع دوي صوته ولا يُفقه ما يقول ، حتى دنا ، فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. فقال: هل علي غيرها ؟ قال: لا ، إلا أَنْ تَطَوَّعَ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَصِيَامُ رَمَضَانَ. قال: هل علي غيره؟ قال: لا ، إلا أَنْ تَطَوَّعَ. قال: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم الزَّكَاةَ ، قال: هل علي غيرها؟ قال: لا ، إلا أَنْ تَطَوَّعَ. قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ" (متفق عليه).

٢- حديث ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ "(متفق عليه).

٣- حديث أبي هريرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزًا يوما للناس ، فأتاه جبريل - عليه السلام- فقال: ما الإِسْلاَمُ ؟ قال: " الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ...." صحيح البخاري. وهذه الأحاديث تدل على أن الصوم فرض عين على كل مسلم.

الصوم فرض على كل مكلف من الإجماع:

أجمعت الأمة دون نكير على وجوب صيام رمضان وأنه أحد أركان الإسلام التي علمت من الدين بالضرورة وأن منكره كافر مرتد عن الإسلام. وقد نقل جمع من الفقهاء هذا الإجماع منهم:

١- الميرغناني في الهداية في شرح بداية المبتدي حيث يقول: "..... صوم رمضان فريضة لقوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ" وعلى فرضيته انعقد الإجماع ولهذا يكفر جاحده...." (ج١ ، ص ١٦٦).

٢- الكاساني في بدائع الصنائع بقوله: "... فإن الأمة أجمعت على فرضية شهر رمضان ، لا يجحدها إلا كافر...." (ج٢ ، ص ٧٥).

٣- البدر العيني في البناية شرح الهداية - الذي يذكر الإجماع على صوم رمضان حيث قال:".... وقَوْله تَعَالَى: «فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» (البقرة: ١٨٥) يدل على فرضيته ، وعلى فرضيته انعقد الإجماع، ولهذا يكفر جاحده أي منكره ...... والأمة اجتمعت من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا من غير نكير أحد..." (ج٤ ، ص٥).

٤- ابن رشد القرطبي في بداية المجتهد حيث قال: "... فأما صوم شهر رمضان: فهو واجب بالكتاب والسنة ، والإجماع..... ، وأما الإجماع: فإنه لم ينقل إلينا خلاف عن أحد من الائمة في ذلك...." ، (ج١، ص ٢٢٧).

٥- ابن حزم في كتابه المحلى بالآثار نص على الإجماع على وجوب صوم رمضان على جميع المكلفين حتى على العبيد ، فبعد أن ذكر أن الصيام قسمين فرض وتطوع ، قال: "... فمن الفرض صيام شهر رمضان الذى بين شعبان وشوال ، فهو فرض على كل مسلم عاقل بالغ صحيح مقيم ، حرًا كان أو عبدًا ، ذكرًا أو أنثى - إلا الحائض والنفساء فلا يصومان أيام حيضهما البتة ، ولا أيام نفاسهما ، ويقضيان صيام تلك الايام - وهذا كله فرض متيقن من جميع أهل الإسلام..." (ج٦ ، ص ١٦٠).

ومن ثم فلا ريب ولا جدال في أن صوم شهر رمضان فرض على كل مكلف؛ وأنه ركن من الأركان الخمسة التي بُني عليها الإسلام، ولذا فصومه فرض على كل مكلف قادر عليه، وقد أجمعت الأمة دون نكير على وجوب صيام رمضان وأنه أحد أركان الإسلام التي علمت من الدين بالضرورة وأن منكره كافر مرتد عن الإسلام وذلك بإجماع الفقهاء.

اللهم يا مقلب القلوب ، ثبت قلوبنا على دينك.... ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

فضل الصوم

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الصوم، باب هل يَقُولُ إنِّي صَائِمٌ إذا شُتِمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ الزَّيَّاتِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "قَالَ اللَّهُ عز وجل: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ" (متفق عليه).

وأخرج مسلم من حديث سعيد بن المسيب؛ أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، هو لي وأنا أجزي به. فوالذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله، من ريح المسك".

وأخرج أحمد والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن أبي أمامة قال: أنشأ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وسلَّم غَزْوةً، فأتَيْتُه فقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ لي بالشَّهادةِ، فقال: «اللَّهُمَّ سَلِّمْهم وغَنِّمْهم»، قال: فسَلِمْنا وغَنِمْنا، قال: ثُمَّ أنشأ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وسلَّم غَزْوًا ثانيًا، فأتَيْتُه فقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ لي بالشَّهادةِ، فقال: «اللَّهُمَّ سَلِّمْهم وغَنِّمْهم»، قال: ثُمَّ أنشأ غَزْوًا ثالثًا، فأتَيْتُه فقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي أتَيْتُك مرَّتينِ قبْلَ مرَّتي هذه فسألْتُك أن تَدعوَ اللهَ لي بالشَّهادةِ، فدَعَوْتَ اللهَ عزَّ وجلَّ أن يُسلِّمَنا ويُغَنِّمَنا، فسَلِمْنا وغَنِمْنا، يا رَسولَ اللهِ، فادْعُ اللهَ لي بالشَّهادةِ، فقال: «اللَّهُمَّ سَلِّمْهم وغَنِّمْهم»، قال: فسَلِمْنا وغَنِمْنا، ثُمَّ أتَيْتُه فقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، مُرْني بعَمَلٍ، قال: «عليك بالصَّوْمِ؛ فإنَّه لا مِثلَ له»، قال: فما رُئِيَ أبو أُمامةَ ولا امرَأتُه ولا خادِمُه إلَّا

صيامًا قال: فكان إذا رُئي في دارهم دُخانٌ بالنَّهار قيل: اعتراهم ضيفٌ، نزل بهم نازلٌ، قال: فلبث بذلك ما شاء اللهُ، ثُمَّ أتيتُه فقلتُ: يا رسول الله، أمرتنا بالصيام، فأرجو أن يكون قد بارك اللهُ لنا فيه يا رسولَ الله، فمُرني بعملٍ آخر، قال: «اعلمْ أنَّك لن تسجُدَ لله سجدةً إلا رفعَ اللهُ لك بها درجةً، وحطَّ عنك بها خطيئةً».

هل الصيام أفضل العمل الصالح؟

أشار ابن عبد البر إلى ترجيح الصيام على غيره من العبادات فقال: حسبك بكون الصيام جُنَّة من النار فضلًا، وبقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: عليك بالصوم فإنَّه لا مثل له" وفي رواية "لا عدل له".

والمشهور عند الجُمهور ترجيح الصَّلاة لقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: "استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أنَّ خيرَ أعمالكُم الصَّلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمنٌ". قال الحافظ ابن حجر: "وقد ورد في هذا التفضيل أحاديث صحيحة منها: أنه-صلى الله عليه وسلم-سئل عن أفضل الأعمال فقال "إيمان بالله ورسوله، ثم جهاد في سبيله، ثم حج مبرور". وفي حديث آخر قال "الصلاة لوقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيله". وفي آخر: "واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة"، وحديث: أي الأعمال أفضل؟ قال: "الصبر والسماحة". وقال لأبي أمامة "عليك بالصوم فإنه لا مثل له"، وأجاب في الحج بقوله: "العجّ والثجّ".

فقيل: إن المراد أنها من أفضل الأعمال، وقيل: إنه-صلى الله عليه وسلم- أجاب كل سائل بحسب ما هو الأفضل في حقه، وبحسب ما يناسبه والأصلح له، وما يقدر عليه ويطيقه، ولهذا وفّق أهل العلم بين هذه الأحاديث بحمل اختلاف الإجابات على اختلاف أحوال السائلين.

لماذا كان الصوم من أفضل العبادات؟

والجواب: لأن الصوم قد وردت فيه من الفضائل ما لا يُحصى؛ فالصوم جُنَّة وحصن حصين من النار؛ كما في حديث أبي هُريرة «الصِّيامُ جُنَّةٌ»، زاد سعيد بن منصور: "جُنَّة من النَّار"، وللنَّسائيّ: "الصِّيام جُنَّة كجُنَّة أحدكم من القتال"، ولأحمد "جُنَّة وحصن حصين من النَّار"، وله من حديث أبي عُبيدة بن الجرَّاح "الصِّيام جُنَّة ما لم يخرقها"، زاد الدَّارميّ "يخرقها بالغيبة"، والجُنَّة بضم الجيم الوقاية والسِّتر.

وقد تبيَّن بهذه الرِّوايات أنَّه ستر من النَّار، وبهذا جزم ابن عبد البر. وقيل: معنى كونه جُنَّة أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات.

وقال القُرطبي: جُنَّة أي سُترة، يعني بحسب مشروعيته، فينبغي للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه، وإليه الإشارة بقوله: "فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث.. إلخ".

ويصح أنْ يراد أنَّه سُترة بحسب فائدته، وهو إضعاف شهوات النَّفس، وإليه الإشارة بقوله: "يدع شهوته إلخ"، ويصح أنْ يُراد أنَّه سُترة بحسب ما يحصل من الثَّواب وتضعيف الحسنات.

وقال عياض: سُترة من الآثام أو من النَّار أو من جميع ذلك.

وقال ابن العربي: إنَّما كان الصوم جُنَّة من النَّار؛ لأنَّه إمساك عن الشهوات، والنَّار محفوفة بالشَّهوات. فالحاصل أنَّه إذا كفَّ نفسه عن الشهوات في الدُّنيا كان ذلك ساترا له من النَّار في الآخرة.

وفي زيادة أبي عُبيدة بن الجراح إشارة إلى أنَّ الغيبة تضرّ بالصِّيام، وقد حُكي عن عائشة، وبه قال الأوزاعي: إنَّ الغيبة تُفطر الصائم وتوجب عليه قضاء ذلك اليوم. وأفرط ابن حزم فقال: يُبطله كلّ معصية من مُتعمِّد لها ذاكر لصومه سواء كانت فعلًا أو قولًا، لعُموم قوله: "فلا يرفث ولا يجهل"، ولقوله في الحديث الآخر: "من لم يدع قول الزُّور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه". والجُمهور وإن حملوا النَّهي على التَّحريم إلَّا أنَّهم خصُّوا الفطر بالأكل والشُّرب والجماع.

ولأجل هذا كان السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان يحافظون على الصوم ويكثرون من التطوع فيه، ويحفظون فيه الجوارح من اللغو والرفث.

روى ابن أبي شيبة في مصنفه باب ما يؤمر به الصائم من قلة الكلام وتوقي الكذب: قال أبو ذر: إذا صمت فتحفظ ما استطعت. وكان بعضهم إذا كان يوم صومه دخل فلم يخرج إلا لصلاة.

وقال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء.

وكان أبو هريرة وأصحابه إذا صاموا جلسوا في المسجد، وقال عمر: ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، ولكنه من الكذب والباطل واللغو والحلف.

وعن ميمون: إن أهون الصوم ترك الطعام والشراب. وعن مجاهد قال: خصلتان من حفظهما سلم له صومه: الغيبة والكذب.

وعن إبراهيم قال كانوا يقولون: الكذب يفطر الصائم. وعن أبي العالية قال: الصائم في عبادة ما لم يغتب.

خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المِسْك:

المُراد به تغيُّر رائحة فم الصائم بسبب الصِّيام. أطْيب عنْد الله منْ ريح المِسْك: قيل: هُو مجاز لأنَّهُ جرتْ العادة بتقْريب الرَّوائح الطَّيبة منَّا فاسْتُعير ذلك للصَّوم لتقْريبه من الله، فالمعْنى أنَّهُ أطْيب عنْد الله منْ ريح المِسْك عنْدكُمْ أيْ يُقرّب إليْه أكْثر منْ تقْريب المِسْك إليْكُمْ. وقيل المُراد أنَّ ذلك في حقّ الملائكة وأنَّهُمْ يسْتطيبُون ريح الخُلُوف أكْثر ممَّا يسْتطيبُون ريح المِسْك. وقيل المُراد أنَّ اللَّه تعالى يجْزيه في الآخرة فتكُون نكْهتُه أطْيب منْ ريح المِسْك كما يأْتي المكْلُوم وريحُ جُرْحه تفُوح مسْكًا. وقيل المُراد أنَّ صاحبه ينال منَ الثَّواب ما هُو أفْضل منْ ريح المِسْك لا سيَّما، بالإضافة إلى الخُلُوف حكاهُما عياض.

وقال الدَّاوُديّ وجماعة: المعْنى أنَّ الخُلُوف أكْثر ثوابًا من المِسْك المنْدُوب إليْه في الجُمع ومجالس الذّكْر، ورجَّح النَّوويّ هذا الأخير، وحاصله حمْل معْنى الطّيب على القبُول والرِّضا.

وكل هذه التأويلات من شُراح الأحاديث وفق مذهبهم في تأويل صفات الله عز وجل، وهي تأويلات مُتكلفة، والراجح عندنا ما عليه سلف الأمة من إمرار صفات الله عز وجل على ظاهرها اللائق بالله من غير تكييف ولا تحريف.

وقد اختلفوا هل الطيب في الدنيا أم في يوم القيامة؟

ففي رواية مُسْلم وأحْمد والنَّسائيّ منْ طريق عطاء عنْ أبي صالح "أطْيب عنْد اللَّه يوْم القيامة"، وفي رواية: "فم الصَّائم حين يخْلُف منْ الطَّعام"، وقدْ ترْجم ابْن حبَّان بذلك في صحيحه، قال الحافظ: وهذه المسْألة إحْدى المسائل الَّتي تنازع فيها ابْن عبْد السَّلام وابْن الصَّلاح من الشافعية، فذهب ابْن عبْد السَّلام إلى أنَّ ذلك في الآخرة كما في دم الشَّهيد واسْتدلَّ بالرّواية الَّتي فيها "يوْم القيامة"، وذهب ابْن الصَّلاح إلى أنَّ ذلك في الدُّنْيا واسْتدلَّ برواية: حين يخْلُف منْ الطَّعام، وصنف كل واحد منهما منتصرا لقوله.

ويترتَّب على هذا الخلاف المشْهُور: هل يجوز إزالة هذا الخُلُوف بالسّواك، أم يُكره؟ والراجح أن السواك سُنة مستحبة على كل حال.

الصِّيام لي وأنا أجزي به:

اخْتلف العُلماء في المُراد بقوْله تعالى: "الصِّيام لي وأنا أجْزي به" مع أنَّ الأعْمال كُلّها لله عز وجل وهُو الَّذي يجْزي بها على أقْوال:

أحدها: أنَّ الصَّوْم لا يقع فيه الرِّياء كما يقع في غيْره: قال أبو عُبيْد في غريبه: قدْ علمْنا أنَّ أعْمال البرّ كُلّها لله وهُو الَّذي يجْزي بها، فنرى والله أعلم

أنَّهُ إنَّما خصَّ الصِّيام لأنَّهُ ليْس يظْهر منْ ابنِ آدم بفعْله وإنَّما هُو شيْءٌ في القلْب. ويؤيِّد هذا ما يروى مرسلاً: "ليْس في الصِّيام رياء".

وقال القُرطُبيّ: لَمَّا كانت الأعْمال يدْخلُها الرِّياء والصَّوم لا يطَّلع عليْه بمُجرَّد فعْله إلا الله، فأضافهُ الله إلى نفْسه، ولهذا قال في الحديث: "يدعُ شهْوته منْ أجْلي". وقال ابْن الجوْزيّ: جميع العبادات تظْهر بفعْلها، وقلَّ أنْ يسْلم ما يظْهر منْ شوْب، بخلاف الصَّوْم.

وارتضى هذا الجواب المازريّ وقرَّرهُ القُرْطُبيّ بأنَّ أعْمال بني آدم لَمَّا كانتْ يُمكن دُخُول الرِّياء فيها أُضيفتْ إليْهم، بخلاف الصَّوْم فإنَّ حال المُمْسك شبعًا مثْل حال المُمْسك تقرُّبًا يعْني في الصُّورة الظَّاهرة.

ثانيها: أنَّ المُراد بقوْله: "وأنا أجْزي به" أنِّي أنْفرد بعلْم مقْدار ثوابه وتضْعيف حسناته. قال القُرْطُبيّ: معْناهُ أنَّ الأعْمال قدْ كُشفتْ مقادير ثوابها للنَّاس، وأنَّها تُضاعف منْ عشْرة إلى سبْعمائة إلى ما شاء الله، إلَّا الصِّيام فإنَّ الله يُثيب عليْه بغيْر تقْدير. ويشْهد لهذا قوْله: "كُلُّ عمل ابْن آدم يُضاعف الحسنة بعشْر أمْثالها إلى سبْعمائة ضعْف إلى ما شاء الله، قال الله: إلَّا الصَّوْم فإنَّهُ لي وأنا أجْزي به"، وهذا كقوْله تعالى: (إنَّما يُوفَّى الصَّابرُون أجْرهُمْ بغيْر حساب)، والصَّابرُون هم الصَّائمُون.

والصَّوْم هُو الصَّبْر: لأنَّ الصَّائم يُصبِّر نفْسه عنْ الشَّهوات، وقدْ قال الله تعالى: (إنَّما يُوفَّى الصَّابرُون أجْرهُمْ بغيْر حساب).

ويُؤيِّدهُ أيْضا العُرْف المُسْتفاد منْ قوْله: "أنا أجْزي به" لأنَّ الكريم إذا قال: أنا أتولَّى الإعْطاء بنفْسي كان في ذلك إشارة إلى تعْظيم ذلك العطاء وتفْخيمه.

ثالثها: معْنى قوْله: "الصَّوْم لي" أيْ: أنَّهُ أحبُّ العبادات إليَّ والمُقدَّم عنْدي، وقدْ تقدَّم: كفى بقوْله "الصَّوْم لي" فضْلًا للصِّيام على سائر العبادات وكذلك قوْله: "عليْك بالصَّوْم فإنَّهُ لا مثْل لهُ".

رابعها: الإضافة إضافة تشْريف وتعْظيم، كما يُقال بيْت الله وإنْ كانتْ البُيُوت كُلُّها لله.

خامسا: أنَّ جميع العبادات تُوفَّى منْها مظالم العباد إلَّا الصِّيام: روى البيْهقيُّ عن ابْن عُييْنة قال: إذا كان يوْم القيامة يُحاسب الله عبْده ويُؤدِّي ما عليْه من المظالم منْ عمله، حتَّى لا يبْقى لهُ إلَّا الصَّوْم، فيتحمَّل الله ما بقي عليْه من المظالم ويُدْخلهُ بالصَّوْم الجنَّة.

قال القُرْطُبيّ: كُنْت اسْتحْسنْت هذا الجواب إلى أنْ فكَّرْت في حديث "المُفْلس الَّذي يأْتي يوْم القيامة بصلاة وصدقة وصيام، ويأْتي وقدْ شتم هذا وضرب هذا وأكل مال هذا" وفيه: "فيُؤْخذ لهذا منْ حسناته ولهذا منْ حسناته": فظاهرُهُ أنَّ الصِّيام مُشْترك مع بقيَّة الأعْمال في ذلك.

قال الحافظ: إنْ ثبت قوْل ابْن عُييْنة أمْكن تخْصيص الصِّيام منْ ذلك.

فقدْ يُسْتدلُّ لهُ بما رواهُ أحْمد: "كُلُّ العمل كفَّارة إلَّا الصَّوْم، الصَّوْم لي وأنا أجْزي به"، وكذا ما رواهُ أبُو داوُد الطَّيالسيّ "قال ربُّكُمْ تبارك وتعالى: كُلُّ العمل كفَّارة إلَّا الصَّوْم"، وعنْ شُعْبة "كُلُّ ما يعْملُهُ ابْن آدم كفَّارة لهُ إلَّا الصَّوْم"، وقدْ أخْرجهُ البُخاري في التَّوْحيد بلفْظ "لكُلِّ عمل كفَّارة والصَّوْم لي وأنا أجْزي به"، لكنَّهُ يُعارضُهُ حديث حُذيْفة "فتْنة الرَّجُل في أهْله وماله وولده يُكفِّرُها الصَّلاة والصِّيام والصَّدقة".

للصائم فرحتان:

إذا أفطر: تحتمل كل ليلة، وتحتمل فرحة عيد الفطر والفرح بتمام العبادة، والسُّنة أن يفرح الصائم، ويفرح العابد بتمام عبادته: فـ"من سرَّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن"، والفرحة التامة يوم يلقى الله عز وجل فيفرح بلقائه.

نسأل الله القبول، والحمد لله رب العالمين.

الحكمة من الصيام

إعداد أ. عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمدلله،
والصلاة والسلام
على رسول الله؛

وبعدُ؛ فإن من أسماء الله تعالى: الحكيم، والحكيم هو الذي يتصف بالحكمة، والحكمة إتقان الأمور ووضعها في موضعها، ومقتضى هذا الاسم من أسمائه تعالى أن كلَّ ما خلقه أو شرعه فهو لحكمة بالغة، علِمها مَن علمها وجهلها من جهلها.

إن الله -سبحانه وتعالى- لم يفرض علينا الصيام، ويمنعنا عن الطعام والشراب التي أحلهما لنا ليعذبنا أو يعنتنا، فحاشا لله من ذلك، ولكنَّ للصيام الذي شرعه الله وفرضه على عباده حكمًا عظيمة وفوائد جمة.

وأولى هذه الحكم وأجلُّها أن الله إنما شرع الصيام وفرضه لتحقيق التقوى، والتدرب على الطاعات، فرمضان من مواسم الخيرات التي امتنَّ الله -تعالى- بها على عباده؛ ليقوى إيمانهم، وتزداد فيه تقواهم، وتتعمق صلتهم بربهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

ففي رمضان من العبادات والأعمال الصالحة ما يجعل النفوس تنقاد إلى رب العالمين، فتزكو النفوس، وتطهر القلوب، وتعيش الأرواح أجواء إيمانية مفعمة بالبركات والرحمات.

ومن أهم الحكم التي شرع من أجلها صيام شهر رمضان ما يلي:

١- تربية النفس على التقوى:

تدريب النفس على تحقيق التقوى والخوف من الله سبحانه وتجنب مساخطه، والالتزام بطاعته من أسمى أهداف فريضة الصيام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

قال الإمام الرازي: «بيَّنَ سُبحانَه بهذا الكلام أنَّ الصَّوْمَ يُورثُ التَّقوى لما فيه من انكسار الشَّهْوَة وانقماعِ الهوى؛ فإنه يَردَعُ عن الأشَر والبَطَر والفَواحش، ويهون لذات الدنيا ورئاستها؛ وذلك لأنَّ الصَّوْمَ يكسرُ شهوةَ البطنِ والفرج، فمَن أكثرَ الصَّوْمَ هان عليه أمرُ هذين وخَفَّتْ عليه مؤنَتُهما، فكان ذلك رادعًا له عن ارتكاب المحارم والفواحش، ومُهوِّنًا عليه أمرَ الرِّياسة في الدُّنيا وذلك جامعٌ لأسباب التَّقوى فيكون معنى الآية فرضتُ عليكُم الصِّيامَ لتكونوا به من المتقين الذين أثنيتُ عليهم

في كتابي» (مفاتيح الغيب ٥/ ٢٤٠).

٢ - تربية النفس على التوبة:

عبر عام طويل يحمل العبد على ظهره من الذنوب والمعاصي ويقع في مخالفات كثيرة، والذنوب تميت القلوب، وإذا اعتاد العبد على الذنب استسهله وخاض في غماره، فيظلم قلبه، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئةً نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله» «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» (المطففين: ١٤). (سنن الترمذي (٣٣٣٤).

قال المباركفوري: «وقوله: (نُكتة سوداء) أي جُعلت في قلبه نُكتة سوداء أي أثر قليل كالنقطة شبه الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما، ويختلف على حسب المعصية وقدرها، والحمل على الحقيقة أولى من جعله من باب التمثيل والتشبيه؛ حيث قيل شبه القلب بثوب في غاية النقاء والبياض والمعصية بشيء في غاية السواد أصاب ذلك الأبيض فبالضرورة أنه يذهب ذلك الجمال منه، وكذلك الانسان إذا أصاب المعصية صار كأنه حصل ذلك السواد في ذلك البياض». (تحفة الأحوذي ١٧٨/٩).

ولذلك كان تحصيل المغفرة من أهم معالم تربية النفس في رمضان، فمن خرج رمضان غير مغفور الذنب، فالوعيد في حقه شديد، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يُدخلاه الجنَّة». (صحيح سنن الترمذي للألباني ٣٥٤٥).

قال المباركفوري: «وقوله: (رغم أنف رجل) أي: لصق أنفه بالتراب كناية عن حصول الذل. الرَّغام وهو التُّراب هذا هو الأصل ثم استعمل في الذُّل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره. انتهى. وهذا إخبار أو دعاء والمعنى بعيد وعلى العاقل أن يتمكن من إجراء كلمات معدودة على لسانه فيفوز بها فلم يغتنمه فحقيق أن يذله الله، ثم انسلخ رمضان أي انقضى قبل أن يغفر له أي بأن لم يتب أو لم يعظمه بالمبالغة في الطاعة حتى يغفر له، فلم يدخلاه الجنة لعقوقه وتقصيره في حقهما». (تحفة الأحوذي ٣٧٢/٩).

وقال المناوي «رغم أنف من علم أنه لو كف نفسه عن الشهوات شهرًا في كل سنة، وأتى بما وظف له فيه من صيام وقيام، غفر له ما سلف من الذنوب، فقصر ولم يفعل حتى انسلخ الشهر ومضى، فمن وجد فرصة عظيمة بأن قام فيه إيمانًا واحتسابًا، عظمه الله ومن لم يعظمه حقره الله وأهانه». (فيض القدير ٣٤/٤).

إن رمضان فرصة نادرة ثمينة فيها الرحمة والمغفرة، ودواعيها متيسرة، والأعوان عليها كثيرون، وعوامل الفساد محدودة، ومردة الشياطين مصفدون، ولله عتقاء في كل ليلة، وأبواب الجنة مفتحة، وأبواب النيران مغلقة، فمن لم تنله الرحمة مع كل ذلك فمتى تناله إذن؟! وإذا لم يغفر له في رمضان فمتى يغفر لمن لا يغفر له في هذا الشهر؟! ومتى يقبل من رد في ليلة القدر؟! ومتى يصلح من لا يصلح في رمضان حتى يصلح من كان به فيه من داء الجهالة والغفلة مرضان، من فرط في الزرع في وقت البدار لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسارة. (لطائف المعارف، لابن رجب ص٢١١ بتصرف يسير).

٣ - تربية النفس على العفو والصفح:

من الأمور التربوية التي يجب أن يخرج بها العبد من رمضان أن يبتعد عن أذى الناس، ويسلم المسلمون من لسانه ويده، فلا ينبغي للعبد أن يصوم رمضان وهو واقع في الغيبة والنميمة والسب والشتم والكذب وهي معاص يجب الحذر منها واجتنابها من الصائم وغيره؛ إذ إنها تجرح الصوم وتضعف الأجر؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْلَ؛ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» (أخرجه

البخاري ٥٧١٠). ولقوله صلى الله عليه وسلم: «الصِّيامُ جُنَّةٌ، وَإذا كانَ يَوْمُ صَوْمِ أحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ ولا يَصْخَبْ، فإنْ سابَّهُ أحَدٌ أوْ قاتَلَهُ؛ فَلْيَقُلْ إنِّي امْرُؤٌ صائِمٌ» (أخرجه البخاري ١٨٠٥).

فالصوم ليس مجرد الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من الفجر حتى غروب الشمس كلا، فهناك حكم وأسرار هذا بعضها، لكننا نرى كثيرًا من الناس تصوم بطنه ولا تصوم جوارحه، فيصوم عن الحلال المباح، ويتناول ما حرم الله من المنكرات كقول الزور وفعل الزور، فلا يتورع بلسانه عما حرم الله، ولا يغض بصره كذلك عن المحرمات، ويقع بيده ورجله في المحرمات، بل ربما يفطر عند إفطاره على كسب محرم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وان مما يستجلب العبد عفو الله عنه بعفوه عن الناس، ولين الجانب معهم، وخفض الجناح لهم، فعن عائشة أنَّها قالتْ: (يا رَسُولَ الله أرَأيْتَ إنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ما أدْعُو؟ قال: تَقُولِينَ: اللهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي). (صحيح الجامع ٤٤٢٣).

قال ابن رجب: «والعفوُ من أسماء الله تعالى وهو الذي يتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو، فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض؛ فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته». (لطائف المعارف لابن رجب ص٢٢٨).

٤- الشعور بوحدة الأمة:

من الأمور التربوية في رمضان هو الشعور بوحدة الأمة وجماعية الطاعة، فلو أن الله تبارك وتعالى كلف كل واحد منا بصيام ٣٠ يومًا وحده وقيام ٣٠ ليلة منفردًا عمن حوله، لوجد صعوبة كبيرة وكان هذا العمل فيه مشقة عظيمة، ولكن من رحمة الله تبارك وتعالى بالأمة أن جعل الطاعة جماعية، ففي رمضان يصير الغالب على المجتمع حرصه على الصيام مع أعمال الطاعة والخير والبر، فالمساجد تمتلئ، وأعمال البر والصدقات يتسابق فيها المتسابقون، والأخلاق السمحة تفرض نفسها، والكل يقرأ القرآن ويجلسون في المساجد، وما ذلك إلا بما أودعه الله في هذا الشهر من بركات، وتيسيره للناس سبل الخير عن غيره من الشهور.

وأنت تصوم هذا العام وتفطر على ما رزقك الله من خيره وفضله، تذكر إخوانك المبتلين في كل مكان، في أرض الشام وبورما وغيرها، فاستشعر معاناتهم وآلامهم، وابذل لهم من مالك ودعائك ما تستطيع، واحمد ربك على نعمة العافية.

٥- حمية للجسد:

من رحمة الله تبارك وتعالى بالعباد أن جعل الصيام وقاية وحماية وتنظيفًا للبدن مما فيه من سموم وأدواء، ففي الصوم صحة البدن، وخلوصه من الأخلاط الرديئة.. وفي الصوم إضعاف للشهوات التي تزداد مع الأكل والشرب واطلاق النظر، فيأتي الصيام ليكسر هذه الشهوات، فيحفظ الإنسان جوارحه.

إن البدن طوال العام مع العمل يكل ويمل، وقد تصاب أجهزة الجسم بالآلام والأسقام، والأفضل أن تستريح الأعضاء بعضًا من الأوقات لتستعيد نشاطها وقوتها مرة أخرى، فمن رحمة العزيز العليم أن جعل للمعدة وقتًا تستريح فيه كما يستريح غيرها من الأعضاء.

وبامتناع الإنسان عن الشهوات بالصوم المشروع؛ ترتقي نفسه وتسمو روحه، وكأنها تقترب من الملأ الأعلى الذين لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون؛ فيكون هذا السمو الروحي، وكسر حدة الشهوات عاملاً مهمًا ليتخلص المرء من حصار الآفات المهلكة.

٦- الصوم في الحر واستدارة الزمان:

الصوم في الحر ومع طول النهار مدرسة عظمى في الصبر، وفيها من الأجر الكثير من صبر على ذلك،

وقد شاء الله سبحانه أن يجعل الشهر القمري رمضان محلاً للصيام، ولهذا الشهر علامته الكونية الكبيرة، القمر بدءًا وانتهاءً يحمل في طياته عوامل الوضوح والثبات، فلا تستطيع سلطة أو جماعة أن تخفيه أو تحرّف المسلمين عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «صُومُوا لرُؤيته وأفطرُوا لرُؤيته، فإنْ غُبّيَ عليكُم فأكملوا عدّة شعْبان ثلاثين». (أخرجه البخاري ١٩٠٩، ومسلم ١٠٨١).

واختيار السنة القمرية في التوقيت له فيها حكَم عظيمة، فالسنة القمرية أقل من السنة الشمسية بحوالي عشرة أيام، فعلى هذا يتقدم شهر رمضان كل عام عنه في السنة الماضية عشرة أيام، وعلى هذا ففي خلال ستة وثلاثين عامًا لا يبقى يوم من أيام السنة إلا وقد صامه المسلم، يشهد له بصومه لربه.

اليوم القصير.. واليوم الطويل.. واليوم الحار.. واليوم البارد. وبذلك يتساوى المسلمون في كل أقطار الدنيا في مقدار الصيام وشدته، ولولا هذا لكان نصيب أهل المناطق الحارة أشد من نصيب أهل المناطق الباردة، وناس يصومون يومًا طويلاً أبد الدهر، وناس يصومون يومًا قصيرًا.

ومن رحمة الله بعباده أن منح الناس في رمضان وقتًا يعوّضون فيه كل ما فقدوه في صيام اليوم من حاجة الجسد، وذلك بإباحة الطعام والشراب والنكاح ليلاً، ومنعه منهم نهارًا، وبذلك يتمحض الصيام نفعًا خالصًا للإنسان بدنيًا ونفسيًا.

ويمكن تلخيص هذه الحكم فيما يلي:

١- الصوم عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه؛ بترك محبوباته المجبول على محبتها من الطعام والشراب والنكاح؛ لينال بذلك رضى ربه والفوز بدار كرامته، فيتبين بذلك إيثاره لمحبوبات ربه على محبوبات نفسه وللدار الآخرة على الدار الدنيا.

٢- الصيام سبب للتقوى إذا قام الصائم بواجب صيامه، فالتقوى هي الغاية الكبيرة من الصوم؛ فالصائم مأمور بتقوى الله -عز وجل-، وهي امتثال أمره واجتناب نهيه، وهذا هو المقصود الأعظم بالصيام، وليس المقصود تعذيب الصائم بترك الأكل والشرب والنكاح.

إن المؤمنين المخاطبين بالقرآن العظيم يعلمون مقام التقوى عند الله، ووزنها في ميزانه، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم، والصوم أداة من أدواتها وطريق موصل إليها؛ فالتقوى هي التي توقظ القلوب الشاردة لتؤدي هذه الفريضة طاعةً لله، وإيثارًا لرضاه، والتقوى هي التي تدفع العبد ليحرس صومه لئلا يفسده بالمعصية.

٣- الصيام تربية لنفس المسلم، وتهذيبٌ لأخلاقه، وتقويمٌ لسلوكه، إذا راعى العبد آدابه وسننه وأحكامه أثر تأثيرًا بالغًا فيه، ويظهر ذلك في عباداته وأخلاقه وسلوكه ومعاملاته.

٤- الصوم هو مجال تقرير الإرادة الجازمة، ومجال اتصال الإنسان بربه اتصال طاعة وانقياد، كما أنه استعلاء على ضروريات الجسد كلها، واحتمال ضغطها وثقلها، وهذه كلها عناصر لازمة في إعداد النفوس واحتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك، والذي تتناثر على جوانبه الرغبات والشهوات، فالصوم أعظم طريق لإذلال النفس، والسيطرة عليها، والتدرب على ضبطها، وقيادتها، وقد فهم السلف هذا الأمر جيدًا؛ فكان أحدهم إذا أراد أن يعاقب نفسه على ذنب؛ كان يعاقبها بالصيام، ولفترات طويلة من السنة.

إن الصوم يمكّن الإنسان من قيادة نفسه لما فيه خيرها وسعادتها في الدنيا والآخرة، ويبعده عن أن يكون عبدًا لشهواته لا يتمكن من منع نفسه عن لذاتها وشهواتها.

نسأل الله أن يعيننا على اغتنام شهر رمضان، وأن يرزقنا القبول.

والحمد لله رب العالمين.

رمضان شهر التوبة الصادقة

اعداد الشيخ/ صلاح نجيب الدق

فرع بلبيس

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِهِ، وأَصْحَابِهِ أجمعين.

أما بعد: فإن الله تعالى جعل للمسلم مواسم للخيرات لتجديد التوبة على مدار العام، ومن هذه المواسم شهر رمضان. والتوبة الصادقة لها ثمرات مباركة على المؤمنين في حياتهم الدنيا ويوم القيامة. ولذا أقول وبالله تعالى التوفيق:

تعريف التوبة

التوبة: هي تَرْكُ المعصية، والإقبالُ على طاعة الله تعالى بإخلاص.

منزلة التوبة

قَالَ الإمَامُ ابنُ القيم رحمهُ اللهُ: التَّوْبَةُ هِيَ حَقِيقَةُ دينِ الإسْلامِ، والدِّينُ كُلُّهُ داخلٌ في مُسَمَّى التَّوبة، وبهذا استحقَّ التَّائبُ أنْ يكونَ حبيبَ الله، فإنَّ الله يُحبُّ التَّوابينَ ويُحبُّ المُتطهِّرين، وإنما يُحبُّ الله مَنْ فعل ما أمرَ به، وترك ما نهى عنه. فإذا التَّوْبَةُ هِيَ الرُّجُوعُ مِمَّا يَكْرَهُهُ الله ظاهرًا وباطنًا إلى ما يُحبُّه ظاهرًا وباطنًا، ويدخل في مُسمَّاها الإسْلامُ، والإيمانُ، والإحْسانُ، وتتناولُ جميعَ المَقامات، ولهذا كانت غايةَ كُلِّ مُؤمنٍ، وبدايةَ الأمرِ وخاتمتَهُ، كما تقدَّم، وهي الغايةُ التي وُجد لأجلها الخَلْقُ، والأمْرُ والتَّوحيدُ جُزْءٌ منها، بل هُو جُزْؤُها الأعْظَمُ الَّذي عليه بِنَاؤُها. وأكْثرُ النَّاس لا يعْرفونَ قدْرَ التَّوبة ولا حقيقتَها، فضْلًا عن القيام بها علْمًا وعملًا وحالًا، ولمْ يَجْعَل الله تعالى محبَّتَهُ للتَّوابينَ إلا وهُمْ خواصُّ الخَلْق لديه. ولوْلا أنَّ التَّوبةَ اسْمٌ جامعٌ لشرائع الإسْلام وحقائق الإيمان لمْ يكن الرَّبُّ تعالى يَفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْده ذلك الفَرَح العظيم، فجميعُ ما يَتكلَّمُ فيه النَّاسُ من المَقامات والأحْوال هُوَ تَفاصيلُ التَّوْبَة وآثارُها. (مدارج السالكين لابن القيم- جـ ١ - ص٣٣٣).

التواب والغفور والغفار من أسماء الله الحسنى

قَالَ سُبْحَانَهُ: (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) (البقرة:٣٧)، وقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: (وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ) (طه:٨٢).

الغَفُورُ والغَفَّارُ مِنْ أسْمَاء الله تَعَالَى الحُسْنَى، وهُمَا مِنْ أبْنِيَة المُبالَغَة، ومَعْنَاهُمَا السَّاتِرُ لذُنُوب عباده وعُيُوبهِمْ، المُتجاوز عن خطاياهُم وذُنُوبهِمْ. وأصْلُ الغَفْر: التَّغْطية. (النهاية في غريب الحديث- لابن الأثير- جـ٣- صـ٣٧٣).

التوبة وصية رب العالمين

أمرنا الله سُبحانه وتعالى بالتوبة في كثير من آيات القرآن العظيم، وسوف نذكرُ بعضاً منها:

قال الله تعالى: (قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) (الزمر:٥٣).

قال تبارك وتعالى: (إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) (النحل:١١٩).

قال سُبحانه: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (الشورى:٢٥).

الملائكة تطلب المغفرة للتائبين

قال سبحانه: (ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ) (غافر:٧).

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه. (البخاري حديث: ٤٤٥، ومسلم حديث: ٦٤٩).

التوبة كرامة من الله لنبينا صلى الله عليه وسلم

قال سُبحانه: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا) (الفتح: ١ : ٢): قال الإمامُ ابن كثير رحمهُ الله: هذا من خصائصه صلواتُ الله وسلامُه عليه التي لا يُشاركه فيها غيرُه، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره (غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) وهذا فيه تشريفٌ عظيمٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو صلواتُ الله وسلامُه عليه في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشرٌ سواه لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق وسيدُهم في الدنيا والآخرة. (تفسير ابن كثير- جـ ٧- ص ٣٠٤).

نبينا صلى الله عليه وسلم يحثنا على التوبة

عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة". (صحيح الترمذي للألباني حديث: ٢٨٠٥).

وعن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: إن الله عزَّ وجلَّ يبسط يدهُ بالليل ليتوب مسيءُ النهار ويبسط يدهُ بالنهار ليتوب مسيءُ الليل حتى تطلع الشمسُ من مغربها. (مسلم: حديث ٢٧٥٩).

شروط التوبة الصادقة

قال الإمامُ النووي رحمهُ الله: قال العلماءُ: التوبةُ واجبةٌ من كل ذنب، فإن كانت المعصيةُ بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلقُ بحق آدميٍّ: فلها ثلاثةُ شروط: أحدُها: أن يقلع عن المعصية. والثاني: أن يندم على فعلها. والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً.

فإن فقد أحدُ الثلاثة لم تصحَّ توبتُه. وإن كانت المعصيةُ تتعلق بآدميٍّ فشروطُها أربعةٌ: هذه الثلاثةُ، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه ردَّه إليه، وإن كانت حدَّ قذف ونحوه مكَّنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبةً استحلَّه منها. ويجبُ أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبتُه عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي. (رياض الصالحين- للنووي- ص٢٥ : ٢٤)

محبة الله تعالى لعباده التائبين

قال جلَّ شأنهُ: (إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة: ٢٢٢).

عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لله أشدُّ فرحا بتوبة

عَبْدِه حينَ يَتُوبُ إليه مِنْ أَحَدِكُمْ كانَ عَلى رَاحِلَتِه بأَرْضِ فلاةٍ فانْفَلَتَتْ منْهُ وعَليها طعامُهُ وشَرابُهُ فأَيِسَ منْها فأَتى شَجرةً فاضْطجعَ في ظلِّها قدْ أَيِسَ منْ رَاحِلَتِه فبَينا هُوَ كذلكَ إذا هُوَ بها قائمةً عنْدَهُ فأَخذَ بخطامِها، ثُمَّ قالَ: منْ شِدَّةِ الفَرحِ: اللَّهُمَّ أنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ؛ أَخْطأَ منْ شِدَّةِ الفَرحِ". (صحيح مسلم: حديث ٢٧٤٧)

التوبة سبيل الجنة

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) (التحريم: ٨).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: طُوبى لِمَنْ وَجَدَ في صَحيفَتِه اسْتغْفارًا كثيرًا. (صحيح ابن ماجه: ٣٠٧٨).

التوبة تمحو ما قبلها من المعاصي

قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: (وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا) (النساء: ١١٠)؛ قالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ رحمهُ اللهُ: "يُخْبِرُ تعالى عَنْ كرمِه وَجُودِه أَنْ كُلَّ مَنْ تَابَ إليه؛ تَابَ عليه مِنْ أَيِّ ذَنْبٍ كَانَ". (تفسير ابن كثير- جـ٢- ص٣٦١).

وقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الأنعام: ٥٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وَسلَّمَ: "مَنْ جلسَ في مَجْلِسٍ فكثُرَ فيه لَغَطُهُ فقالَ قَبْلَ أَنْ يقومَ منْ مَجْلسه ذلكَ: سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إليكَ؛ إلَّا غُفِرَ لَهُ ما كانَ في مَجْلِسِه ذَلكَ. (صحيح الترمذي للألباني حديث: ٢٧٣٠).

التوبة تبدل السيئات إلى حسنات

قَالَ اللهُ سبحانه وتَعالى: (وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) (الفرقان: ٦٨- ٧٠).

التوبة سبيل الفلاح في الدنيا والآخرة

قَالَ سُبْحَانَهُ: (وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (النور: ٣١)، وقال جَلَّ شأنُهُ: (فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ) (القصص: ٦٧).

التوبة سبيل الأرزاق وحفظ العباد

قَالَ اللهُ تَعالى حكايةً عَنْ نُوحٍ صَلَّى اللهُ عليه وَسلَّمَ، مع قومه: (فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا) (نوح: ١٠-١٢).

وقَالَ الإمَامُ ابن كثير رحمهُ الله: إذا تُبْتُمْ إلى اللهِ واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم أسقاكم مِنْ بَرَكاتِ السَّماءِ، وَأَنْبَتَ لكُمْ منْ بَركاتِ الأَرْضِ وَأَنْبَتَ لكُمْ الزَّرْعَ، وأَدَرَّ لكُمْ الضَّرْعَ وأَمَدَّكُمْ بأَموالٍ وبَنينَ أي أَعْطاكُمْ الأَموالَ والأَولادَ وجعلَ لكُمْ جنَّاتٍ فيها أَنْواعُ الثِّمارِ وخلَّلها بالأنهارِ الجاريةِ بينَها. (تفسير ابن كثير- جـ٨- ص٢٤٦)

التوبة كرامة الله للمؤمنين يوم القيامة

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُدْني المُؤْمنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى في نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: (هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ) (هود: ١٨) (البخاري: ٢٤٤١، ومسلم: ٢٧٦٨)

وآخِرُ دَعْوانا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمينَ.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

رمضان شهر الدعاء

قال الله تعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" (البقرة: ١٨٦)

من هدي الرسول ﷺ في رمضان

الإكثار من مدارسة القرآن

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أجْوَد النّاس بالخيْر، وكانَ أجْوَدَ ما يَكون في رَمضانَ حينَ يَلْقاهُ جبْريل، وكانَ جبْريل عليه السَّلامُ يَلْقاهُ كلَّ ليلةٍ في رَمضان، حتى يَنْسلخ، يَعْرِض عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم القرآن، فإذا لَقيَه جبْريل عليه السَّلامُ، كانَ أجْوَد بالخيْر من الرِّيح المُرْسَلة" (صحيح البخاري ١٩٠٢).

رمضان شهر الصيام والقرآن

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد؛ يقول الصيام: أي رب إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه؛ فيُشَفَّعَان.
(مسند أحمد)

دعاء رؤية الهلال

عن طلحة بن عبيد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: "اللهم أهلـه علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام؛ ربي وربك الله" (سنن الترمذي).

دعاء ليلة القدر

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ يا رسولَ الله أرأيتَ إن علمْتُ أيُّ ليلةٍ ليلةَ القَدر ما أقولُ فيها؟ قال: "قولي اللَّهُمَّ إنَّكَ عفوٌّ كريمٌ تُحبُّ العفوَ فاعْفُ عني" (سنن الترمذي).

من الخاسر في شهر رمضان؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رَغِمَ أنفُ رجلٍ ذُكِرتُ عندَهُ فلم يصلِّ عليَّ، ورَغِمَ أنفُ رجلٍ دخلَ عليه رمضانُ ثمَّ انسلخَ قبلَ أن يُغفرَ لهُ، ورغمَ أنفُ رجلٍ أدركَ عندَهُ أبواهُ الكبرَ فلم يُدخلاهُ الجنَّةَ.
(سنن الترمذي).

رمضان شهر الخيرات

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان أوَّلُ ليلة من شهر رمضانَ صُفِّدَتِ الشَّياطينُ ومَرَدةُ الجنِّ، وغُلِّقَتْ أبوابُ النَّار، فلم يُفتَحْ منها بابٌ، وفُتِّحتْ أبوابُ الجنَّة فلم يُغلَقْ منها بابٌ، ويُنادي منادٍ: يا باغيَ الخيرِ أقبلْ، ويا باغيَ الشَّرِّ أقصرْ، ولله عُتقاءُ من النَّار، وذلكَ كلَّ ليلة"

(سنن التِّرمذي).

رمضان شهر التربية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليسَ الصيامُ من الأكلِ والشرْبِ، إنَّما الصيامُ من اللغوِ والرفثِ، فإنْ سابَّكَ أحدٌ، أوْ جَهِلَ عليْكَ، فقلْ إنِّي صائمٌ إنِّي صائمٌ" (صحيح الجامع ٥٣٧٦).

اعداد/د. علاء خضر

رمضان شهر الكرم

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "منْ فطَّرَ صائمًا كانَ لَهُ مثل أجرِهِ غيرَ أنَّه لا ينقصُ من أجرِ الصَّائم شيءٌ". (سنن التِّرمذي)

الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَجْتهدُ في العشْرِ الأواخرِ، ما لا يَجْتهدُ في غيره.

(صحيح مسلم ١١٧٥).

من بركة السحور

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "السَّحورُ أكلةُ بركةٍ فلا تدعوهُ ولو أن يَجرعَ أحدُكم جرعةَ ماءٍ فإنَّ الله وملائكتَهُ يُصلُّونَ على المتسحِّرينَ"

(مسند أحمد ١١٣٩٦)

لا تحرم نفسك الخير!

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رمضان؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ هذا الشهرَ قدْ حضرَكمْ، وفيه ليلةٌ خيرٌ منْ ألفِ شهرٍ، منْ حرمها فقدْ حُرِمَ الخيرَ كلَّهُ، ولا يُحرمُ خيرَها إلا محرومٌ" يعني ليلة القدر

(صحيح الجامع ٢٢٤٧).

وعَجِلتُ إليك ربِّ لترضى

أ. د محمد حامد **الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر**

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

وبعد: فها هي أيام شهر رمضان قد أظلتنا، وبالبركات عمّتنا، وبالخيرات غمرتنا فهل من مشمر؟

حقيقٌ بالمسلم أن يغتنم فرصة هذا الشهر الفضيل الذي تُفتح فيه أبواب الجنان، وتُغلق فيه أبواب النيران، وتُصفّد فيه الشياطين، ولا يَدَعه يمضي دون استثماره في تحقيق رضا الله عز وجل.

حقا إنها فرصة وأيّ فرصة!

إن الطاعات في هذه الأيـام ميسورة، والمُعينين عليها متوافرون، ولذا جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قـال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَت الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحتْ أَبْوَابُ الجَنَّة، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَـابٌ، وَيُنَـادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّه عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ" (أخرجه الترمذي في

سننه حديث٦٨٢، وابن خزيمة في صحيحه حديث١٨٨٣).

فيا باغي الخير أقبل على مولاك، واسعَ في نيل رضاه، وقل: "وعجلتُ إليك ربِّ لترضى"، ومن قبلُ قد قالها الكليم موسى عليه السلام حين سأله ربه وهو أعلم به: «وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ »(سورة طه:٨٣-٨٤)؛ والمقصود أن موسى عليه السلام تعجَّل وسبق السبعين رجلاً الذين اختارهم لميقات ربه؛ شوقًا إلى مناجاة ربه، وكلامه.

وقال ابن جُزي في تفسيره التسهيل (١١/٢): "قصة هذه الآية أن موسى عليه السلام، لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور، تقدم هو وحده مبادرةً إلى أمر الله، وطلبًا لرضاه".

فانظر كيف تكون رغبة المحب في نيل رضا الله، والاستباق إليه؟!

والمتأمل في هذه الجملة الجليلة، والآية العظيمة لا يخطئه أن يستفيد منها فائدتين عظيمتين:

الفائدة الأولى: فضيلة المسارعة إلى الخير والقربات، والتعجل بها، وعدم التباطؤ أو التكاسل عنها.

والأدلة في هذا الباب أكثر من أن تُحصر.

قال تعالى: «وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ » (سورة آل عمران:١٣٣)، وقال تعالى: «فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ » (سورة البقرة:١٤٨)، وقال تعالى: «أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ » (سورة المؤمنون:٦١).

وقد جاء في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التُّؤَدَةُ في كُلِّ شَيْءٍ خير إلَّا في عَمَلِ الآخِرَةِ» (أخرجه الحاكم في مستدركه حديث ٢١٣ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي).

وفي الحديث عنه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحُجَّ، فَلْيَتَعَجَّلْ؛ فَإِنَّهُ قَدْ تَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَيَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَكُونُ الْحَاجَةُ" (أخرجه أحمد في مسنده ١٨٣٣، واللفظ له، والحاكم في مستدركه ١٦٤٥)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شواهد أخرى.

ويستفاد من هذه الأدلة كلها أن المؤمن عليه أن يسارع في فعل الخيرات، واستباقها، دون تردد أو تباطؤ فإنه لا يدري ماذا يعرض له.

فبادرْ واغتنم فإنَّ الفرصة سانحة والخير عميم في هذا الشهر الفضيل، وقل لنفسك إن لم تطاوعك، كما قال ابن الجوزي في التبصرة (٨٩/٢): "يا واقفًا في مقام التحير هل أنت على عزم التغير؟ إلى متى ترضى بالنزول في منزل الهوان. هل مضى من يومك يومُ صالح سلمتَ فيه من جرائم القبائح، تالله لقد سبق المتقي الرابح وأنت راضٍ بالخسران".

والفائدة الثانية: إن رضا الله سبحانه أجلُّ الغايات التي تُرتجى، وأعظم الأهداف التي تُبتغى.

تأمل قول موسى عليه السلام: (لترضى) أي: من أجل أن تَرضى عني.

فما أسعدك حين تجعل هذه الغاية (رضا الله سبحانه) نُصب عينيك تسعى إليها سعيًا، وتؤمُّها أمًّا، وتبذل فيها النفس والنفيس، وتدعو إليها كل صاحب وجليس، وتلهج بذكرها دوما، ولا تغفل عنها وقتا! قال الله سبحانه: «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ

مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ » (سورة التوبة:٧٢)؛ ومعنى ذلك: أن رضا الله سبحانه عنهم أكبر وأعظم وأجلُّ مما هم فيه من النعيم.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا "(أخرجه البخاري في صحيحه- حديث٦٥٤٩، ومسلم ٢٨٢٩).

إنَّ المؤمن ينبغي ألا يغيب عنه مثل هذه الأسئلة العظيمة: هل ربي راضٍ عني؟ وما السبيل إلى نيل رضا الله سبحانه؟

إن رضا الله سبحانه غاية ينبغي ألا يفرط العبد في طلبها، والاجتهاد في تحصيلها، والسعي الحثيث لبلوغها.

وقد أوضحت الأدلة من الكتاب والسنة سُبل تحقيق هذه الغاية؛ نسأل الله أن يرضى عنا ويوفقنا.

ودونك هذه السبل التي يجدر بك أن تلزمها، وتحافظ عليها لتنال رضا الله سبحانه وتعالى.

أولاً: خشية الله سبحانه وتعالى

مَن خشي الله رضي الله عنه، وأدخله جنته، وخشيةُ الله تكون في السر والعلن، والغيب والشهادة.

قال الله عز وجلَّ: (جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ » (سورة البينة:٨)؛ وهذه الخشية تثمرها مراقبة الله تعالى، والصيام من فوائده العظيمة تحقيق هذه المراقبة فراقِب الله، وسَلْه رضاه.

ثانيًا: الصدق والوفاء بما وعدوه سبحانه من العمل الصالح، ولزوم ما جعل الله رضاه فيه

من سبل نيل رضاه سبحانه أن تصدق في قولك وفعلك وحالك، وتفي بوعدك وعهدك؛ قال تعالى: (قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ »(سورة المائدة:١١٩).

فالله عزوجل قد رضي الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا في الوفاء له بما وعدوه من العمل بطاعته واجتناب معاصيه، وهم قد رضوا عن الله تعالى في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه، فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه. ذلك الفوز العظيم، أي: ما أعطاهم الله إياه من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها، مرضيًا عنهم، وراضين عن ربهم، هو الظفر العظيم بالطَّلبة وادراك الحاجة التي كانوا يطلبونها في الدنيا، ولها كانوا يعملون فيها، فنالوا ما طلبوا وأدركوا ما أمَّلوا (ينظر: جامع البيان للطبري: ١٤٢/٩).

ثالثا- موالاة أهل الإيمان، والبراء من أهل الكفر والطغيان

الولاء والبراء أصل عظيم ينبغي للمؤمن أن يتعلمه، ويعتقده، ويعلمَ أنه من أسباب تحصيل رِضا الله عز وجلَّ؛ فلا يُرضِي الناسَ بسخط الله، وإنما عليه أن يُرضيَ الله ولو سَخِط مَن سخِطَ من الناس.

قال تعالى: (لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ

جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » (سورة المجادلة:٢٢).

رابعًا: اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، والسير على ما كان عليه أصحابه من إيمان وإحسان.

إذا أردت أن يرضى الله عنه فاتبع نبيك، وسِرْ على منهاجه، وتمسك بهديه، واجعل أصحابه قدوتك؛ قال تعالى: (وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ » (سورة التوبة:١٠٠).

قال الواحدي في تفسيره الوسيط (٢/ ٥٢٠): "وقد فُسِّرت الآية على أن المراد بها جميع الصحابة الذين أدركوا رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحصل لهم السبق بإدراكه وصحبته".

والمراد بالذين اتبعوهم بإحسان على قول عدد من المفسرين مَن اتبعوهم على دينهم ومنهجهم، وأحسنوا القول فيهم من أهل الإيمان إلى أن تقوم الساعة.

خامسًا: بر الوالدين والإحسان إليهما:

يجدر بك أن تعلم أن بر والديك أوسط أبواب الجنة وأنهما مفتاح لنيل رضا الله عز وجلَّ.

وقد ورد في هذا الباب حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: «رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ» (أخرجه الترمذي في سننه (حديث١٨٩٩) وأعله بالوقف، وابن حبان في صحيحه (حديث٤٢٩)، والحاكم في مستدركه (٧٢٤٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي)).

سادسًا: الحرص على السنن والنوافل الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم ومنها السواك

إذا علَتْ همتك، وسَمتْ عزيمتك لتظفر برضا الله عنك، وحبِّه لك فلا تدَعْ شيئًا من هديه صلى الله عليه وسلم إلا اتبعته، ولا شيئا من النوافل إلا كان لك منها نصيب. وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " السواك مطهرة للفم مرضاة للربّ"(ذكره البخاري تعليقا، وأسنده النسائي حديث٥، وابن حبان في صحيحه (١٠٦٧)).

سابعًا: الرضى عن الله وحمده وشكره

من أعظم السبل للوصول إلى رضا الله سبحانه: رضا العبد عنه وحمده سبحانه وشكره. فما أعزَّ هذا العبد الراضي عن الله، وما قَسَم، يقول بلسانه ويشهد بجَنانه: "أحبُّه إلى الله أحبُّه إليَّ" يحمد الله على الضراء كما يحمده على السراء، ويحمده على القليل كما يحمده على الكثير.

عن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» (أخرجه مسلم في صحيحه حديث(٢٧٣٤)).

هذه سبلٌ نافعة، ووسائل مفيدة لتحقيق هذه الغاية الجليلة وهي رضا الله سبحانه.

نسأل الله أن يرزقنا رضاه والجنة، ونعوذ به سبحانه من سخطه والنار.

والحمد لله رب العالمين.

مع القرآن في شهر القرآن

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى، ومن تبع هديه واقتفى، وبعد:

فإن الله تعالى خاطب عباده بكتب أنزلها لهم، فبعث بها أنبياءه رسلاً إلى سائر عباده المكلفين من الثقلين الإنس والجن، قال الله تعالى في محكم التنزيل من كتابه المبين مخاطبًا عباده المؤمنين: «قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ» **(البقرة:١٣٦)**

فبين الله تعالى أنه أنزل كتبه على عباده فأرسله بها المرسلين ومنهم الستة المذكورون بأسمائهم في الآية السابقة: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وعيسى.

ومنهم المشار إليهم بغير تعيين أسمائهم، وهم: الأسباط خاصة، والمراد بهم النبيون من بني إسرائيل، ومنهم الأنبياء عمومًا في قوله: «وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ».

فمن هذه الكتب المنزلة: الصحف، وقد أنزلها إلى نبيه ورسوله إلى خلقه إبراهيم عليه السلام، قال الله تعالى: «إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ⑱ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ» (الأعلى: ١٨-١٩).

ومن هذه الكتب المنزلة التوراة، وقد أنزلها الله إلى

إعداد **د. محمد عبد العزيز**
رئيس فرع العاشر

نبيه ورسوله إلى خلقه موسى عليه السلام، قال تعالى: «إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ» (المائدة: ٤٤).

ومن هذه الكتب المنزلة الزبور، وقد أنزله الله إلى نبيه ورسوله إلى خلقه داود عليه السلام، قال تعالى: «وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا» (الإسراء: ٥٥).

ومن هذه الكتب المنزلة الإنجيل، وقد أنزله الله إلى نبيه ورسوله إلى خلقه عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: «وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ» (المائدة:٤٦).

وخاتم الكتب المنزلة القرآن الكريم، وقد أنزله الله

إلى نبيه ورسوله إلى خلقه محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: « نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ » (الشعراء:١٩٣- ١٩٥)، وقال: « إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ » (الزمر: ٢)، وقال: « وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ » (العنكبوت: ٤٧).

وهذه الكتب المنزلة منها ما خاطب الله به رسله من وراء حجاب بغير واسطة، قال الله تعالى: « وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ » (الشورى: ٥١).

ومنها ما كتبه الله لرسله بيده، قال الله تعالى: « وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ » (الأعراف: ١٤٥).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة.

قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟!

فحج آدم موسى، فحج آدم موسى ثلاثًا» (أخرجه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٦٨٣٥) (١٣- ٢٦٥٢))

ومنها ما كان وحيًا أرسل الله به رسوله من الملائكة وهو جبريل عليه السلام إلى أنبيائه ورسله، قال الله تعالى: « وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ » (الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥).

وقال: « قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ » (البقرة: ٩٧).

فتحصل من ذلك أن هذه الكتب نزلت إلى الرسل على ثلاث صور:

الصورة الأولى: أن يخاطب الله عزوجل رسوله بها من وراء حجاب.

الصورة الثانية: أن يكتب له كتابًا يقرأه هو وقومه وينزله عليه.

الصورة الثالثة: أن يبعث إليه رسوله من الملائكة جبريل عليه السلام بالوحي.

ولعل سائر هذه الكتب نزل في شهر رمضان، وقد جاء ذلك منصوصًا عليه في أربعة منها، وهي: صحف إبراهيم، وفي التوراة، وفي الانجيل، وفي القرآن.

ومن أدلة ذلك في القرآن خاصة قول الله تعالى: « شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ » (البقرة: ١٨٥) فهذا نص على نزول القرآن في رمضان.

وقال تعالى: « إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ » (الدخان: ٣ - ٦)

وقال: « إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ » (القدر: ١)، وهذه النصوص تدل على نزوله في ليلة مخصوصة، وأن هذه الليلة مباركة، وأنها هذه الليلة هي ليلة القدر، وليلة القدر في رمضان، وقد نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الاثنين، فعن أبي قتادة الأنصاري - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صومه؟

قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال عمر ــ رضي الله عنه ــ: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولاً، وببيعتنا بيعة.

قال: فسئل عن صيام الدهر؟

فقال: لا صام ولا أفطر، أو ما صام وما أفطر.

قال: فسئل عن صوم يومين وإفطار يوم؟

قال: ومن يطيق ذلك؟

قال: وسئل عن صوم يوم، وإفطار يومين؟

قال: ليت أن الله قوانا لذلك.

قال: وسئل عن صوم يوم، وإفطار يوم؟

قال: ذاك صوم أخي داود، عليه السلام.

قال: وسئل عن صوم يوم الاثنين؟

قال: ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت، أو أنزل عليَّ فيه .... » الحديث (أخرجه مسلم (٢٧١٧) (١٩٧))

ولعل المراد هنا مبدأ التنزيل للقرآن، وإلا فقد نزل القرآن منجمًا (مفرقًا) بحسب الحوادث في ثلاث وعشرين سنة، قال الله تعالى: «وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا »(سورة الإسراء: ١٠٦).

أو يقصد بذلك نزوله جملة واحدة في هذه الليلة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، كما صح ذلك عن ابن عباس، فعن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، وقرأ: «وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا » (الإسراء: ١٠٦)». (أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" واللفظ له (ص ٢٢٢)، والطبري في التفسير (٣٠/ ٢٥٨)، والنسائي في "الكبرى" (٧٩٨٩) و (٧٩٩٠) والحاكم في المستدرك (٢٨٧٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما، ولم يخرجاه)

فعلى هذا يكون للقرآن تنزلان:

الأول: نزوله جملة إلى بيت العزة في ليلة القدر.

الثاني: نزوله مفرقًا على حسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة.

والحكمة من نزوله جملة في ليلة القدر، قد ذكرها جمع من العلماء، فقد قال أبو شامة في "المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز" (ص ٢٤ - ٢٥): «فإن قلت: ما السر في إنزاله جملة إلى السماء الدنيا؟

قلت: فيه تفخيم لأمره وأمر من أنزل عليه، وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب، المنزل على خاتم الرسل لأشرف الأمم، قد قربناه إليهم لننزله عليهم، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجما بحسب الوقائع لم نهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله تعالى باين بينه فجمع له الأمرين: إنزاله جملة ثم إنزاله مفرقًا، وهذا من جملة ما شرف به نبينا صلى الله عليه وسلم، كما شرف بحيازة درجتي الغني الشاكر والفقير الصابر، فأوتي مفاتيح خزائن الأرض، فردها واختار الفقر والإيثار بما فتح الله عليه من البلاد، فكان غنيا شاكرا وفقيرا صابرا صلى الله عليه وسلم».

ونزول القرآن مفرقًا على حسب الوقائع مما اختص به القرآن، وقد بيَّن الله الحكمة في ذلك، قال تعالى: «وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا » (الفرقان: ٣٢).

فهذا بالنسبة للقرآن، وأما بالنسبة لصحف إبراهيم، والتوراة، والإنجيل، فعن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان» (أخرجه أحمد (١٦٩٨٤)، والطبراني في "الكبير" (١٨٥)، وفي "الأوسط" (٣٧٥٢)، والبيهقي في "شعب الإيمان"

(٢٠٥٣)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٧٥))

فهذا نص على نزول هذه الكتب الأربعة في رمضان.

وقد نزل هذا الكتاب شاهدًا لسائر الكتب السابقة، وناسخًا لبعض الشرائع فيها، قال الله تعالى: « وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ » (المائدة: ٤٨)

ونزول القرآن على تلك الأمة محض اصطفاء لها من الله تعالى يدل على فضلها بين سائر الأمم، قال الله تعالى: « وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا » (فاطر: ٣١، ٣٢).

وقد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه عن التحريف والتبديل، قال الله تعالى: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ » (الحجر: ٩).

والحديث عن القرآن وفضله حديث يطول ذكره لا تكفيه تلك المقالة، ولذا فإني أكتفي بتلك الإشارة على تقصيري فيها، وانتقل بعدها إلى الحديث عن أهل القرآن، وهو حديث أيضًا يطول ذكره لكن تكفي فيه الإشارة المفهمة.

فإن لله أهلين في هذه الدنيا اصطفاهم، وخصهم بالقرب والمحبة والمعية، وميزهم في الدنيا، ورفع ذكرهم وأعلى درجاتهم في الآخرة وهم أهل القرآن، ممن حفظه عن ظهر قلبه وأقام حروفه، وفهم كلامه، وتدبر أحكامه، وعمل بما فيه، فعن أنس ـــ رضي الله عنه ـــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله أهلين من الناس.

قالوا: من هم يا رسول الله؟

قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ». (أخرجه أحمد (١٢٢٧٩)، والنسائي في الكبرى (٧٩٧٧)، وابن ماجه (٢١٥)، وأبو داود الطيالسي (٢٢٣٨)، والحاكم في المستدرك (٢٠٩٨)).

وقوله صلى الله عليه وسلم: « إن لله أهلين »: يدل على اختصاصهم بتلك الصفة دون غيرهم من المؤمنين، فإن اللام الداخلة على لفظ الجلالة تدل على الاختصاص.

وقوله: "أهلين": بالجمع الملحق بجمع المذكر السالم: يدل على كثرتهم في العباد.

وأكد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك المعنى وزاده بيانًا وتقريرًا في النفوس بقوله: « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » أي: هم المختصون به، بمعنى: أنه لما قربهم واختصهم كانوا كأهله، تأكيدًا على أنهم أهل الله الذين اصطفاهم في الخلق.

فهذه فضيلة عظيمة اختص الله بها طائفة من المؤمنين فاصطفاهم لأجلها.

فهل المقصود بهذه الطائفة: القراء وإن لم يعملوا بالقرآن؟

أم المقصود بها: العاملون به وإن لم يقرؤه؟

أم المقصود بهم: القراء العاملون به؟

قال ابن قيم الجوزية في زاد المعاد (١ / ٣٢٧): « أهل القرآن: هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب.

وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله، وإن أقام حروفه إقامة السهم.

قالوا: ولأن الإيمان أفضل الأعمال، وفهم القرآن وتدبره هو الذي يثمر الإيمان، وأما مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر، فيفعلها البر والفاجر، والمؤمن والمنافق، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن، كمثل الريحانة، ريحها طيب، وطعمها مر »

والناس في هذا أربع طبقات:

أهل القرآن والإيمان، وهم أفضل الناس.

والثانية: من عُدم القرآن والإيمان.

الثالثة: من أوتي قرآنًا، ولم يؤت إيمانًا.

الرابعة: من أوتي إيمانًا ولم يؤت قرآنًا.

قالوا: فكما أن من أوتي إيمانًا بلا قرآن أفضل ممن أوتي قرآنًا بلا إيمان، فكذلك من أوتي تدبرًا، وفهمًا في التلاوة أفضل ممن أوتي كثرة قراءة وسرعتها بلا تدبر».

قلت: والتقرب إلى الله بقراءة القرآن وتدبره عبادة من أعظم العبادات وأجلها. قال الله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ» (فاطر: ٢٩، ٣٠)

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول «الم» حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف». (أخرجه الترمذي (٣١٣١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه)

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها» (أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٣١٤١) و (٣١٤٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح).

ولأهل القرآن خصوصية مع كتاب الله عزوجل في هذا الشهر الفضيل، لأنه يجتمع فيه للمتعبد بالتلاوة شرف المتلو وهو القرآن، وشرف العبادة وهي التلاوة، وشرف الزمان وهو رمضان، وشرف العابد المتقرب بالعبادة، وعظم الأجر.

واليك بعض النماذج من تلاوتهم لكتاب الله في رمضان، وتفرغهم لذلك:

كان الأسود بن يزيد: يقرأ في كل ليلتين في رمضان.

وكان إبراهيم النخعي: يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث.

وكان قتادة: يختم في كل سبع دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة.

وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة.

بل كان للنبي صلى الله عليه وسلم خصوصية مع القرآن في رمضان، تلاوة، ومدارسة، وقيامًا، فعن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة» (أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨))

قال الحافظ في الفتح (١ / ٣١): «قوله: (فيدارسه القرآن): قيل: الحكمة فيه: أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود، والجود في الشرع إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي وهو أعم من الصدقة. وأيضًا فرمضان موسم الخيرات؛ لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤثر متابعة سنة الله في عبادته، فبمجموع ما ذكر من الوقت والمنزول به والنازل والمذاكرة حصل المزيد في الجود والعلم عند الله تعالى».

هذا ما يسره الله تعالى في هذا المقال، والحمد لله أولاً وآخرًا.

قصة أخرى من قصص الأوحال في أحوال الطرقية

إعداد الشيخ/ علي حشيش

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ: فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم؛ حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص وفي مراجع الطرقية، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: التناسب بين آيات صيام شهر رمضان وآيات ولاية الرحمن:

أقدم للقارئ الكريم في هذا الشهر العظيم شهر رمضان هذا التناسب بين آيات صيام رمضان، وآيات ولاية الرحمن، ليرتفع بجناحي ركني ولاية الرحمن في سماء الإيمان والتقوى، فلا يخلد إلى الأرض في أوحال أحوال الطرقية، ولبيان ذلك:

١- قال السيوطي (ت٩١١هـ) في «الإتقان في علوم القرآن» (٢٧١/٣) ط الهيئة المصرية للكتاب: «علم التناسب أو المناسبة مرجعه في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط وعلم المناسبة علم شريف، قلّ اعتناء المفسرين به لدقته». اهـ.

٢- وقال بدر الدين الزركشي المتوفى (سنة ٧٩٤هـ) في «البرهان في علوم القرآن»، دار إحياء الكتب العلمية بيروت. «قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: المناسبة علم حسن، لكن يُشترط في حسن ارتباط الكلام: أن يقع في أمر متَّحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة: لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا ربط ركيك يُصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه». اهـ.

٣- الاستنتاج: نستنتج من أقوال هؤلاء الأئمة في «علوم القرآن» أن علم المناسبة كما بين الإمام البقاعي:

علم يناسب الآي والسور
علم عليم ذو خطر
قد قلّ فيه الكاتبون
وعز فيه المستطر

ويشترط فيه: أن يقع في أمر متَّحد مرتبط أوله بآخره، وهذا الأمر المتحد المشترك بين الآيات يُبنى عليه علم المناسبة.

ومن ربط بين آيات ليس فيها معنى رابط بينها، فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك كما هو مبين.

٤- التطبيق: لبيان التناسب بين آيات

صيام رمضان وآيات ولاية الرحمن.

أ- آية الصيام التي افتتح الله بها آيات صيام رمضان:

قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ» (البقرة: ١٨٣).

ب- آية ولاية الرحمن: قال الله تعالى: «أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ» (يونس: ٦٢-٦٣).

٥- تحقيق الأمر المتحد المشترك الذي يبنى عليه علم تناسب الآيات:

أ- من تدبير آية ولاية الرحمن في قوله تعالى: «أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ» (يونس: ٦٢، ٦٣).

يجد أن «الإيمان» و«التقوى» هما الركنان لولاية الرحمن، و«الإيمان» في قوله تعالى: «الذين آمنوا»، و«التقوى» في قوله تعالى: «وكانوا يتقون».

ب- ومن تدبر آية صيام رمضان في قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ» (البقرة: ١٨٣): يجد أن: صدر الآية وهو الأساس الذي يُبنى عليه الصيام هو «الإيمان» في قوله تعالى: «يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا كُتبَ عليْكُمُ الصِّيَامُ». ويجد أن: عجُز الآية وهو الغاية من الصيام ألا وهي (التقوى) في قوله تعالى: «لعَلَّكُمْ تَتَّقُون».

ويجد أن: الوسيلة إلى هذه الغاية هو «الصيام» في قوله تعالى: «كُتبَ عليْكُمَ الصيام».

الاستنتاج: نستنتج من تدبر الآيات: آيات صيام رمضان وآيات ولاية الرحمن وتطبيق قواعد التناسب في مناسبة الآيات، والتي بيناها آنفًا، أن هناك ارتباطًا بين الآيات في أمر متّحد مشترك هو «الإيمان» و«التقوى» يدل على حسن ارتباط يحقق شرط تناسب الآيات في غير تكلُّف.

فآية ولاية الرحمن لها ركنان: «الإيمان»، و«التقوى»، وآية الصيام: الأساس الذي كتب عليه الصيام «الإيمان».

والغاية من الصيام (التقوى)، والوسيلة لتحقيق الغاية (الصيام)، فإذا صلح الصيام تحققت الغاية، وصار العبد بصيامه مؤمنًا تقيًا، ومن كان مؤمنًا تقيًا، كان لله وليًا.

أما إذا فسد الصيام -حفظنا الله والقراء الكرام من هذا الفساد- لأنه إذا فسد الصيام لا تحقق الغاية، ولا يصل بصيامه إلى الولاية.

وهذا ما حذّر منه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن لم يدع قولَ الزّورِ والعمَلَ به فليْسَ لله حاجَةٌ في أنْ يدع طَعامَهُ وَشَرابَهُ». وهذا الحديث من جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور».

قال الإمام القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (٣٧١/٦)- ط دار الحديث- القاهرة: قوله تعالى: «وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّور» الزور: الباطل والكذب، وسُمّي زورًا لأنه أميل عن الحق، ومنه «تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ» (الكهف: ١٧). ومدينة زوراء أي مائلة، وكل ما عدا الحق فهو كذب وباطل وزور». اهـ.

تنبيه:

قول النبي صلى الله عليه وسلم «من لم يدع قول الزور...» بهذا البيان نجد أن الزور جامع لآفات اللسان، ويشمل كل قول مائل عن الحق من الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة، والقذف، والشتم، وشهادة الزور... إلى غير ذلك من آفات اللسان.

تحذير:

لقد اشتهر حديث على ألسنة الوعاظ، وكذلك الكُتّاب في الصحف والمجلات، هذا الحديث أورده الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في كتاب «العلل» (٢٥٨/١) (ح٧٦٦)، دار المعرفة ببيروت، وقال: "سألت أبي عن حديث أورده بقية عن محمد بن الحاج عن ميسرة بن عبد ربه، عن جابان عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خمسٌ يُفطرونَ الصَائم، وتنقض الوضوء:

الغيبة والنميمة، والكذب، والنظر بشهوة، واليمن الكاذبة". فسمعت أبي يقول: "هذا حديث كذب، وميسرة بن عبد ربه كان يفتعل الحديث". اهـ.

قلت: أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٩٥٨/٢٠٣٠/١)، ونقل عن أبي داود أن ميمون بن عبد ربه أقره بوضع الحديث، وقال ابن حبان: كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، ويضع الحديث، وقال البخاري: ميسرة بن عبد ربه يُرمى بالكذب.

وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٩٣/٢) من طريق سعيد بن عنبسة عن بقية، وقال: هذا موضوع، ومن سعيد إلى أنس كلهم مطعون فيه، قال يحيى بن معين: وسعيد كذاب.

قلت: وإن تعجب فعجب أن يتعلق بهذا الحديث الموضوع، وهو من الكذب المختلق المصنوع الذي نسبه الكذابون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويتركوا الصحيح الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح١٩٠٣)، كما بينا آنفًا، والذي هو من جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم، والذي يؤدي نفس المعنى في عبارة موجزة المبنى، عظيمة المعنى في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»، كما بينا ذلك بالتفصيل آنفًا.

وإذا انتشر قول الزور من كذب، وغيبة، ونميمة، وألفاظ منكرة ينكرها الشرع وينفر منها الطبع؛ تضيع الغاية من الصيام، وإن تعجب فعجب أن يقترن بشهر رمضان الخضوع بالقول من كاسيات عاريات مائلات مميلات في قنوات فضائية في فوازير ومسلسلات رمضانية، تؤدي إلى مرض القلوب بأمراض الشهوات التي تؤدي بالإصرار ثم الاستحلال إلى أمراض الشهوات، قال الله تعالى مخاطبًا أطهر نساء العالمين أمهات المؤمنين: «يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا» (سورة الأحزاب آية: ٣٢).

ثانيًا: الخلاصة:

قول الزور بكل معانيه يُفسد الغاية من الصيام، وهي «التقوى»، وبفساد الغاية ينهدم ركن من ركني الولاية، فركناها: الإيمان والتقوى، كما بينا من التناسب بين آيات الصيام وآيات الولاية.

ثالثًا: قصة أخرى من قصص الأوحال في أحوال الطرقية:

قال الشيخ الشعراني في كتابه «الطبقات الكبرى» (١٦٦/٢) ط. صبيح- ميدان الأزهر: «ومن الأولياء الشيخ الصالح عبد القادر السبكي رحمه الله تعالى أحد رجال الله تعالى، كان من أصحاب التصريف بقرى مصر رضي الله عنه، وكان كثير الكشف، لا يحجبه الجدران والمسافات البعيدة من اطلاعه على ما يفعله الإنسان في قعر بيته، وخطب مرة عروسة فرآها فأعجبته، فتعرى لها بحضرة أبيها وقال لها: انظري أنت الأخرى حتى لا تقولي بعد ذلك بدنه خشن أو فيه برص أو غير ذلك، ثم مسك ذكره وقال: انظري هل يكفيك هذا وإلا فربما تقولي هذا ذكره كبير لا أحتمله، أو يكون صغيرًا لا يكفيك فتفتاتي مني وتطلبي زوجًا آخر أكبر آلة مني». اهـ.

قلت: هذا هو كتاب الشعراني الذي يقول عنه: «هذا كتاب طبقات الأولياء الذين يُقتدى بهم في طريق الله». كذا في مقدمة الطبقات (٣/١)، والذي فيه مقصودي بيان فقه طريق القوم في التصوف من آداب المقامات والأموال». اهـ.

هل هذه هي آداب المقامات والأحوال؟ أم هي «أوحال المقامات والأحوال؟ أم هي أوحال المقامات والأحوال».

فما أحوجنا في هذا الشهر إلى القول السديد المبني على ركني ولاية الرحمن في قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا» (الأحزاب: ٧٠)، ففي قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» ركن «الإيمان»، وفي قوله تعالى: «اتَّقُوا اللَّه» ركن (التقوى)، وهما ركنا ولاية الرحمن، وركنا (القول السديد)، لا قول الزور الذي لا يقوله إلا عربيد، يتبع كل شيطان مريد.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد الشيخ/ علي حشيش

- «اعتكاف عشرٍ في رمضان كحجتين وعمرتين».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار (٢/١٩) مكتبة الحرم النبوي الشريف «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧)، وقال «طب عن الحسين بن عليّ».

قلت: "طب" ترمز إلى "الطبراني في المعجم الكبير"، وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين من التحقيق أنه حديث موضوع.

فائدة: وحتى يقف القارئ الكريم على معرفة هذا المصطلح لا بد من بيان معناه الاصطلاحي:

«الموضوع»: «هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته في أيّ معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مقرونًا ببيان وضعه، كذا في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) النوع (٢١) للإمام السيوطي، وسنطبق هذا المصطلح على هذا الحديث من خلال التخريج والتحقيق حتى يقف طالب العلم على دراسة لعلم المصطلح التطبيقي».

أولاً: التخريج:

الحديث أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٨/٣) قال: حدثنا محمد بن الفضل السقطي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا الهياج بن بسطام، حدثنا عنبسة، عن محمد بن سليمان، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اعتكاف عشر في رمضان...» الحديث.

ثانيا: التحقيق:

الحديث لا يصح، وعلته «عنبسة»، قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٥١٢١/٤٣٦/١٤): عنبسة بن عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي روى عنه: هياج بن بسطام وآخرون.

١- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤٠٣/١/٣): «سألت أبي عن عنبسة بن عبد الرحمن القرشي من آل سعيد بن العاص فقال: «متروك الحديث كان يضع الحديث». اهـ.

٢- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٧٨/٢): «عنبسة بن عبد الرحمن صاحب أشياء موضوعة، وما لا أصل له، لا يحل الاحتجاج به».

٣- قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٣٨/١/٤): «عنبسة بن عبدالرحمن القرشي تركوه». وكذلك قال البخاري في «الضعفاء الصغير»: «تركوه».

٤- وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٤٢٨) «لا متروك الحديث».

فائدة: قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٦٩): «مذهب النسائي أن لا يترك الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

٥- ونقل هذه الأقوال الحافظ المزي وأقرها ثم نقل عن أبي زُرعة أنه قال: «عنبسة بن عبد الرحمن منكر الحديث، واهي الحديث»، ونقل عن يحيى بن معين: «عنبسة لا شيء»، ونقل عن أبي الفتح الأزدي أنه قال: «عنبسة كذاب».

٦- ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٥١٢/٣٠١/٣) أقوال أئمة الجرح والتعديل وأقرها، ثم ذكر عدة أحاديث من مناكير عنبسة، ختمها بهذا الحديث.

الاستنتاج:

نستنتج من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن في الحديث راويًا متروك الحديث، وكان يضع الحديث، منكر الحديث، واهي الحديث، كذاب، إذن فالحديث «موضوع».

من نفحات الإيمان في شهر الغفران: العمل بموجب التوحيد وترك ما ينافيه

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

فلحكمة أرادها سبحانه -ربما لأن رمضان موسمُ عبادة وصيام وقيام، وشهر طاعة وإحسانٍ وقراءةٍ للقرآن، وكل هذا يشترط له: تمامُ الإخلاص والمتابعة وصدق التوجه إلى الله وحده لا شريك له- تضمنت آياتُ الصيام في سورة البقرة، الآيةَ الكريمة: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » (البقرة: ١٨٦)، وما ذاك إلا لبيان أن كل عبادة خارجة عن هذا الإطار لا قيمة لها ولا ثمرة من ورائها، وأنه سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم موافقًا لسُنة نبيه الأمين، وأنه ليس ثمة أهم ولا أعظم بعد التوبة الصادقة من أن يستجيب المؤمن لنداءات ربه ويجدد بيعته مع الله بالإذعان والامتثال، ليقوَى عنده جانب الإيمان المعقود عليه في بداية حديث القرآن عن الصيام، وليحقق في نفسه جانب العبودية وكلمة التوحيد الخالص لله والذي يأتي على قمته إفراده تعالى بالسؤال والدعاء المنصوص عليها في الآية السالفة الذكر.

فكلمة التوحيد هي كلمة التقوى: (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ » (الفتح/ ٢٦)، وهي كلمة الحق: (إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » الزخرف/ ٨٦)، وهي القول الثابت: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ » (إبراهيم/ ٢٧)، وهي الشجرة الطيبة: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ » (إبراهيم/ ٢٤)، وهي العروة الوثقي: (فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ » (البقرة/ ٢٥٦)، وهي سبيل النجاة من النار والفوز بالجنة؛ لحديث مسلم: (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرَم الله عليه النار)، وهي التي لا يحجبها عن الله شيء، لما ورد في صحيح الجامع (٥٦٤٨) من حديث أبي هريرة: (ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصًا، إلا فُتحت لها أبوابُ السماء حتى تُفضي إلى العرش؛ ما اجتنبت الكبائر).

بل ما خلق الله الدنيا والآخرة والجنة والنار إلا لها، وما أنزل الكتب وأرسل الرسل إلا لأجلها وذلك قوله: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ » (النحل/٣٦)، (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ » (الأنبياء/٢٥)، (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ » (الزخرف/٤٥)،

وهي التي بها يُجتاز الصراط وتُؤخذ الكتب بالميامن، وهي أفضل الذكر، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة، وهي كلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة، وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه، وبقية أركان الدين متفرعة عنها متشعبة منها مكملات لها، مُقيَّدةً بالتزام معناها والعمل بمقتضاها.

كما أنها الإحسان، وأول الإسلام، وأعلى شعب الإيمان، على ما جاء: في حديث جبريل حين سأل الرسول عن تلك الثلاثة؛ وفي الصحيحين من حديث (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله).. وهي التي بنقيضها يُحبط العمل ويَضيع الأجر والثواب، ويَخسر الإنسان دينه ودنياه وأُخراه، كما قال سبحانه عمن هذا حالهم: (وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا » (الفرقان/ ٢٣).

أ- من موجبات الإيمان: العمل بموجب كلمة التوحيد:

ولأن الدعاء والتعبد إلى الله به من أهم مظاهر التوحيد، فقد عَنى أهل العلم بقولهم: (العمل بموجب كلمة التوحيد) أمرين مهمين:

الأول: أن لكلمة التوحيد التي تؤتي ثمارها ويقع النفع بها شروطًا سبعة، هي: العلم بمعناها نفيًا واثباتًا؛ علمًا ينافي الجهل، لقوله تعالى: (فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ » (محمد/ ١٩)، واليقين الجازم المنافي للشك، لقوله: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ » (الحجرات/ ١٥)، والقبول التام المنافي للرفض، لقوله: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ » (الروم/ ٤٧)، والانقياد المنافي للترك، لقوله: (وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ » (لقمان/ ٢٢)، والصدق المنافي للكذب، لقوله: (أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ » (العنكبوت/ ٢، ٣)، والإخلاص المنافي للشرك، لقوله: (وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ » (البينة/ ٥).

وأخيرًا المحبة لما اقتضته هذه الكلمة ودلّت عليه، ومحبة أهلها العاملين بها وبشروطها، وبُغض ما ناقض ذلك، لقوله: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ » (المائدة/ ٥٤)، (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ » (المائدة/٥٥)، لذا قالوا: (إن علامة حب العبد ربه: تقديم محابّه وان خالفت هواه، وبُغض ما يَبغض ربّه وان مال إليها هواه، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله وقبول هداه)، وقالوا: ادّعى قومٌ محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » (آل عمران/ ٣١)، ويقول عليه السلام: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان)، وذكر: (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله.. الحديث).

الثاني: صرف كل أنواع العبادة لله وحده دون غيره، وهذا من أعظم المطالب المكلف بها الفرد المؤمن المخلص لله في عبادته، وذلك قوله تعالى موجهًا نبيه وكل من آمن بدعوته: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ » (الأنعام/١٦٢، ١٦٣)، فالصلاة والذبح لا يكونان إلا لله؛ بل الحياة كلها والممات كما نطقت بذلك الآية، والنذر والطواف لا يكونان إلا له وعلى النحو الذي شرع، مصداقًا لقوله: (وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ » (الحج/ ٢٩)، والعبادة والاستعانة لا تجعلان إلا له وبه كيما يتحقق ما نقوله في كل ركعة: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » (الفاتحة/ ٥)، والرجاء والخوف لا يكونان إلا فيه ومنه، لحديث البخاري ومسلم: (لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك)، والرهبة والتوكل لا يكونان إلا منه وعليه تصديقًا لقوله: (فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ » (النحل/ ٥١)، وقوله: (وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ » (المائدة/ ٢٣)، والسؤال والاستغاثة لا يطلبان إلا منه وبه، للآية: (وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا

لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ » (يونس/ ١٠٦، ١٠٧). ولحديث: (وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله).

وبذا قضى العقل، فإذا كان سبحانه قد نفى عن رسوله وصنوة خلقه امتلاك النفع والضرّ وعلم الغيب عنه حيًا فيما سبق وفيما هو آتٍ. في نحو قوله: (قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ » (الأعراف/١٨٨)، أفيملك شيئًا من ذلك بعد أن تحقق فيه قوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ » (الزمر/ ٣٠)؟، وإذا كان سبحانه قد نفى عنه ذلك حيًا وميتًا وهو من هو؛ أيقول عاقل بأن غيره يملك شيئًا من أمر نفسه أو أمر غيره حيًا أو ميتًا؟

وها هو ذا-صلوات الله عليه- يؤكد هذه الجملة من الحقائق عمليًا وبنفسه، فيقول لأقرب الناس إليه: (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله فإني لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية لا أغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا).

ب-ومن موجبات التوحيد ترك ما ينافيه:

من هنا لم يكتف الإسلام بقصر الرشاد على: (الإيمان بالله وحده لا شريك له) و(الاستجابة له في إتيان ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر) على ما قد يُفهم من آية البقرة، حتى شدد النكير على من قصَّروا فيهما فأضحت أعمالهم هباءً، ونهى عن التشبه بهم في عبادتهم، وحذَّر من اتباع طرائقهم التي صوَّرها القرآن وتلخصت في قوله سبحانه: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ » (يونس/١٨)، وقوله: (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ » (الزمر/٣)، علمًا بأن هؤلاء الذين حذَّر القرآن منهم ومن فعالهم، كانوا يؤمنون بربوبية الله، كما تدل عليه الآيات: (٣١) من سورة يونس، و(٨٤ وما بعدها) من سورة المؤمنون، و(٦١، ٦٣) من سورة العنكبوت، و(٢٥) من سورة لقمان، و(٣٨) من سورة الزمر، و(٩، ٨٧) من سورة الزخرف.

كما أن أولئك الذين اتخذوهم شفعاء وأولياء ثم تبرؤوا منهم -على ما حكى القرآن ذلك في قوله تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ » (الأحقاف: ٥، ٦)؛ فقد كانوا على ما أورده البخاري: (رجالًا صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنوسي العلم عُبدت)، قال غير واحد من السلف: (لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم).

وقد انتقلت هذه الأصنام في زمن عمرو بن لحيّ إلى قبائل العرب، ولم تزل تُعبد حتى بُعث صلوات الله عليه، فأرسل في هدمها وتكسيرها، وقد كانوا يعبدونها في الرخاء ويجعلونها وسائط بينهم وبين الله، وأما في الشدة فكانوا يُخلصون العبادة لله، على ما ورد في قوله سبحانه: (فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ » (العنكبوت/٦٥).

وسدًا للذريعة، وحتى لا تقع هذه الأمة فيما وقع فيه القوم، حذَّر الإسلام من كل ما من شأنه أن يؤدي إليه؛ فأنكر ربنا على من دعا أحدًا من الموتى والمغيبين، وقال في ذلك: (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ » (الأعراف/١٩٤)، وقال: (وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » (فاطر/١٣، ١٤).. ونهى نبينا عن إطرائه وانزاله فوق المنزلة التي أنزلها الله قائلًا: (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم إنما أنا عبد الله

ورسوله)، كما نهى عن أن يُعظَم قبره أو يطاف حوله، على ما أفاده قوله داعيًا: (اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد)، أو أن يُتوسل به بعد انقضاء أجله كما توسَّل بصالحي قوم نوح، أو أن يُجعل -بأبي هو وأمي- واسطة بين الله وخلقه، على ما أفاده قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب)، كذا بالفاء الدالة على الترتيب والتعقيب، وبالتأكيد بـ (إن) واسمية الجملة، ودون أن يكون هو أو غيره -بطريق الأولى- وسيلة أو واسطة بينه وبين عباده، بيْنا نلحظ توسُّطه في الإجابة عن كل سؤال: (يسألونك عن كذا)، (فقل كذا).

كما نهى-عليه سلام الله- عن أن يُطلب منه المدد أو أن يُستغاث به، وذلك فيما علَّمناه في دعائه: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله؛ ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك).. وعن أن يُحلف أو يُنذر أو يُذبح لغير الله، فقال فما صح عنه: (من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت)، (من نذر لغير الله فقد أشرك)، (لعن الله من ذبح لغير الله).. وعن أن تتخذ القبور مساجد، كما دل عليه قوله كما في الصحيحين: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)؛ يحذر ما صنعوا.

وإنما جاء الأمر كذلك؛ صونًا لعقيدة التوحيد من أن يشوبها شائبة شرك؛ إذ التهاون في مثل هذه الأمور، مفض إليه ومحبط للعمل ومخرج من دائرة مغفرة الله التي وسعت كل شيء (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ) (النساء/٤٨، ١١٦)، وهاهم أولاء صفوة خلقه من الرسل يقول تعالى في شأنهم بعد أن أثنى عليهم: (وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » (الأنعام/ ٨٨)، ويقول لخاتمهم: (وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ » (الزمر/ ٦٥، ٦٦).
الأمر الذي يعني أن الشرك أو اتخاذ أيٍّ من أسبابه، هو أعظم ما عُصي الله به، وأن التوحيد بشُعبه الثلاث، والعمل بموجبه وترك ما ينافيه، هو: أعظم ما أمر به الله، وهو المعوَّل عليه في قبول العمل عند الله.

وإذا كان الأمر على ما سبق ذكره، فقد استبان حتمية أن يعمر المؤمن حياته بالإيمان، ويملأ قلبه بالعقيدة الصافية والإيمان الصادق والتوحيد الخالص، وأن يجعل رمضان انطلاقة لتحقيق ذلك.. فالشرك أعظم ما نهى الله عنه؛ لذا لم تنه الرسل عن شيء قبله، كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به؛ لذا لم يأمروا بشيء قبله.. وما ذُكر الشرك مع شيء من النواهي إلا جُعل أوله، وما ذُكر التوحيد مع شيء من الأوامر إلا جُعل كذلك.. وتأمل معي في هذا ما جاء في الآيات: (٣٦) من سورة النساء، و(١٥١) وما بعدها من سورة الأنعام، و(٢٣) وما بعدها من سورة الإسراء، (٦٨) وما بعدها من سورة الفرقان.

وقل مثل ذلك في الأحاديث الجامعة، من نحو قوله عليه السلام -لمن سأله عما يقربه إلى الجنة ويباعده عن النار- (لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئًا.. الحديث)، وحديث جبريل المشهور، وغيرهما كثير.

هكذا ينبغي أن يكون رمضان مصدر إلهام، لنستقي التوحيد من منابعه الصافية من خلال الآيات الصريحة، وكذا الأحاديث والآثار الصحيحة لا تلك الضعيفة والموضوعة التي لا يزال البعض يتمسك بها، ويريد أن يُقحمها على القلوب العامرة بالإيمان ليتسنى له أن يعتقد ويفسر الإسلام -فيما لا يجوز فيه التقليد ولا يسوغ فيه الاجتهاد- بهواه.. فاسلكنا اللهم في عداد عبادك الموحِّدين الطائعين، المخلصين العاملين، واجعلنا لك ذكّارين شكّارين، أوّابين منيبين برحمتك يا أرحم الراحمين، اللّهم آمين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حقيقة الوحي

إعداد **الشيخ/ مصطفى البصراتي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد: فإنه لما كان أهم قواعد دين الأنبياء هو الوحي المُنزَّل عليهم من السماء، وكان أصل الدين الحنيف هو القرآن العربي المنزل على النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه، فإن سائر الأصول من السنن والإجماع والقياس يرجع عند التحقيق إلى ذلك الأساس.

وكان حفظ ألفاظ القرآن وفهم معانيه إما من فروض الأعيان أعني ما يلزم كل أحد من حفظ السبع المثاني. وأما من فروض الكفاية مما يتعلق برواية ودراية معناه وتأويله، وإنما تقوم به طائفة من العلماء الذين استُحفِظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء. (المعتمد من المنقول فيما أوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: ١/ ٢٧).

فغنيّ عن البيان أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الموحى إليه المبين له كل ما ينبغي أن يكون عليه تحمل الوحي، وما ينبغي أن يكون عليه أداؤه من الأحرف والكيفيات التي تؤدَّى بها هذه الأحرف، ثم ما يحتاج إليه صلى الله عليه وسلم مع ذلك من بيان معاني هذا الوحي المنزل عليه حتى يمكنه صلى الله عليه وسلم الوفاء بوظيفة البيان الموكلة إليه، كما قال تعالى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» (النحل: ٤٤).

ومن جهة البيئة المحيطة بهذا الوحي فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعيش هذه البيئة منذ أول كلمة منه زمانًا ومكانًا مخاطبًا بهذا الوحي أفرادًا وجماعات وأحداثًا ووقائع من سؤال وردَ عليه، فيحتاج إلى جوابه، أو قضية أو واقعة تحدث فيحتاج إلى بيان حكمها أو الحديث عنها، فيتنزل عليه الوحي ببيان جميع ذلك.

ومن جهة لغة الوحي فهو صلى الله عليه وسلم كان سيِّد مَن نطق بالضاد، وكان أعلم العرب بلسانها وبجميع اللهجات التي ينادى بها هذا اللسان.

ومِن ثَم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بالقرآن وعلومه كلها علمًا تحقيقيًا.

أصل الوحي في اللغة:

إعلام بخفاء، ومنه الإلهام الفطري للإنسان، وهو المشار إليه في قوله تعالى: «وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ» (القصص: ٧)، وقوله تعالى: «وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى» (المائدة: ١١١).

ومنه الإلهام الغريزي للحيوان وهو المشار إليه في قوله تعالى: «وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى

ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا» (النحل: ٦٨).

ومنه الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء كما في قوله تعالى عن عبده زكريا: «فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا» (مريم:١١).

وقد يُطلق الوحي على ما يوسوس به الشيطان ويزينه من خواطر الشر للإنسان كما قال تعالى: «وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ» (الأنعام: ١٢١).

أما الوحي في الاصطلاح فهو: إعلام الله أنبياءه ما شاء أن يُعلمهم به من ألوان العلم، ويكون على أنواع شتى:

أنواع الوحي:

الوحي أربعة أنواع تتمثل فيما يلي:

١- منها ما يكون مكالمة بين العبد وربه؛ كما كلم الله موسى تكليمًا قال تعالى: «وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا» (النساء: ١٦٤).

٢- ومنها ما يكون إلهامًا يقذفه الله في قلب مصطفاه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعًا ولا يجد فيه شكًا، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب». (رواه أبو نعيم في الحلية).

٣- ومنها ما يكون منامًا صادقًا يجيء في تحققه ووقوعه كما يجيء فلق الصبح في تبلجه وسطوعه. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح». (متفق عليه).

ومما يدل على أن الرؤيا الصالحة للأنبياء وحي يجب اتباعه: ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام من رؤيا ذبحه ولده إسماعيل، ولو لم تكن هذه الرؤيا وحيًا يجب اتباعه لما همَّ إبراهيم عليه السلام بذبح ولده لولا أن مَنَّ الله عليه بالفداء؛ قال تعالى: «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ» (الصافات: ١٠٢- ١٠٥).

٤- ومنه ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام وهو الوحي الجلي، وهو أشهر أنواع الوحي وأكثرها، لأن القرآن كله من هذا القبيل؛ قال الله تعالى في الإشارة إلى أنواع الوحي: «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ» (الشورى: ٥١). (محاضرات في علوم القرآن).

وللحديث بقية إن شاء الله.

غزوة بدر؛ دروس وعبر

إعداد الشيخ / إبراهيم حافظ رزق
فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد، ففي العام الثاني من الهجرة وفي اليوم السابع عشر من شهر رمضان، وقعت غزوة بدر الكبرى، وقد سمى الله هذا اليوم يوم الفرقان- يوم التقى الجمعان-؛ حيث كان هذا اليوم فارقًا بين أهل الايمان وأهل الكفر والطغيان.

وقد كان سبب هذه الغزوة أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قد بلغه قدوم قافلة أبي سفيان من الشام إلى مكة، والتي كانت تحمل أموال قريش وتجارتها، فدعا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أصحابه إلى الخروج لأخذ تلك القافلة في مقابلة إخراج قريش للنبي وأصحابه من ديارهم وسلب أموالهم. فخرج الرسول-صلى الله عليه وسلم- ومعه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا يقصدون القافلة، ولم يكن يدور بخلدهم أنهم سيقاتلون قريشًا، ولكن الله كان قد قدر أمرًا آخر، حيث جمع بينهم وبين عدوهم على غير موعد ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

يقول تعالى: « وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ » **(الأنفال: ٧- ٨)، ويقول تعالى:** «وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ

هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » (الانفال: ٤٢).

وعندما علم أبو سفيان بخروج النبي وأصحابه لمواجهة قافلته حوَّل خط سير الرحلة، وأرسل صارخًا إلى مكة يدعوهم للخروج لحماية القافلة من محمد وأصحابه، فخرج أهل مكة في ألف من الرجال المسلحين، على الرغم من أن أبا سفيان كان قد أرسل لهم يأمرهم بالعودة إلى مكة بعد أن نجا بالقافلة والتي بها الأموال والتجارات، وأخبرهم أنه لا داعي لقتال محمد وأصحابه، ولكنَّ أبا جهل- عمرو بن هشام المخزومي- أصرَّ على عدم العودة، وأقسم أن لا يعود حتى يقيم بمن معه ببدر ثلاثة أيام ينحر الجذور ويطعم الطعام ويشرب الخمر وتسمع بهم العرب فلا يزالون يهابونهم.

ولمَّا علم النبي-عليه الصلاة والسلام- بخروج قريش جمع أصحابه فاستشارهم في قتال قريش وقال: «إن الله وعدني إحدى الطائفتين إما القافلة أو الجيش: « وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ » (الأنفال: ٧)، فقام المقداد بن الأسود-رضي الله عنه- متحدثًا عن المهاجرين، وقال: يا رسول الله: امض لما أراك الله؛ فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ » (المائدة: ٢٤)، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك». صحيح البخاري.

ثم قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- : «أشيروا علي أيها الناس- وانما يقصد الأنصار- فقام سعد بن معاذ-رضي الله عنه- فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل. قال: فقد آمنَّا بك وصدَّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة؛ فامض يا رسول الله لما أردتَ؛ فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد؛ إنا لصُبُر عند الحرب صُدُق عند اللقاء، ولعل الله أن يُريك منا ما تقر به عينك، فسُرَّ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بقول سعد، ثم قال: سيروا على بركة الله، وأبشروا؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم». ثم نزل رسول الله وأصحابه بالقرب من بئر بدر بناءً على مشورة الحباب بن المنذر-رضي الله عنه-.

وفي ليلة المعركة أخذ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يُرتِّب جيشه ويُنظِّم صفوفه، وأنزل الله مطرًا ثبَّت به أقدام المؤمنين وزلَّت به أقدام الكافرين: « إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ » (الأنفال: ١١).

ونظر رسول الله-صلى الله عليه وسلم- إلى جيشه قليل العدد والعدة وإلى جيش الكافرين، فاستقبل القبلة، ثم رفع يديه مستغيثًا بربه قائلا: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبَد في الأرض» رواه مسلم.

يقول الله تعالى: «إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (الأنفال: ٩- ١٠).

وحرَّض رسول الله أصحابه على قتال المشركين فقال: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقْتَل صابرًا محتسبًا، مقبلًا غير مُدْبِر إلا أدخله الله الجنة» رواه البخاري.

ودارت رحى المعركة، وأخذ المسلمون يقاتلون جيش المشركين ويأسرون بعد أن أمدهم الله بعون من الملائكة يقاتلون إلى جانبهم؛ فقتلوا منهم سبعين رجلًا وأسروا سبعين، وكان بين القتلى أبو جهل وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وغيرهم من صناديد قريش، وبعد أن انتهت المعركة سار رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بين القتلى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، ويقول: «هل وجدتم ما وعد ربُّكم حقًّا؟» ثم قال: «إنهم الآن يسمعون ما أقول» رواه البخاري.

واستشار رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أصحابه في أمر الأسرى فكان رأي عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- أن يضرب رسول الله أعناقهم، ورأى الصِّدِّيق أبو بكر أن يعفو عنهم رسول الله، وأن يقبل منهم الفداء كما عند الترمذي وأحمد، فمال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- إلى قول أبي بكر-رضي الله عنه-، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء؛ فأنزل الله: « مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (الأنفال: ٦٧).

وبعد، فهذه أحداث غزوة بدر باختصار شديد، وهي أول وقعة خاضها المسلمون في سبيل دينهم وعقيدتهم، وقد كانوا قلة، ولكنَ الله نصرهم على عدوهم. قال تعالى: « كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » (البقرة: ٢٤٩)، وقد كان من أسباب انتصار المسلمين بعد توفيق الله وتأييده لهم:

- الإيمان بالله: « إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ » (غافر: ٥١).
- التوكل على الله: « إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » (آل عمران: ١٦٠).
- المشاورة بين القائد والجند عملًا بقوله تعالى: « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ » (آل عمران: ١٥٩).

وقوله تعالى: « وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ » (الشورى: ٣٨).

- إعداد العدة والأخذ بأسباب القوة: « وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ » (الأنفال: ٦٠).
- الدعاء والذكر: « إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ » (الأنفال: ٩).
- الثبات والصبر عند لقاء العدو: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (الأنفال: ٤٥).
- الإخلاص: « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ » (الأنفال:٤٧).

وفي الحديث: «لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» رواه البخاري.

نسأل الله أن ينصر دينه وكتابه وسنة رسوله وعباده المؤمنين وأن يرفع راية الإسلام وينصر المسلمين على عدوهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ترويض اللسان في شهر رمضان

إعداد الشيخ/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة بلوغ شهر رمضان، والصلاة والسلام على سيد الأنام.

وبعد: فمن ملك لسانه ملك الخير كله، وضمن-بإذن الله- فسيح الجنان، ومن ترك لسانه في الشر خسر الخير كله ودخل النيران، فهيا نتاجر مع الرحمن بترويض اللسان في طاعة الله في كل زمان ومكان، والبعد عن الكذب والآفات والبهتان، وخاصة في شهر رمضان، فهو فرصة عظيمة لتربية النفس وإصلاح الذات.

عَنْ مُعَاذ بْن جبَل، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ في سَفَر، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه أَخْبِرْني بِعَمَل يُدْخِلُني الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُني عَن النَّار. قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَني عَنْ عَظِيم، وَإِنَّهُ لَيَسيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّه عَلَيْه، تَعْبُدُ اللَّه وَلَا تُشْرِكُ بِه شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَاب الخَيْر: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُل مِنْ جَوْف اللَّيْل،... ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاك ذَلكَ كُلِّه»؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبيَّ اللَّه، فَأَخَذَ بِلسَانه قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». فَقُلْتُ: يَا نَبيَّ اللَّه، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِه؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّار عَلَى وُجُوههِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» سنن الترمذي (٢٦١٦)، صَحِيح الْجَامِع (٥١٣٦).

نداء يومي إلى اللسان: اتَّق الله فينا:

فعَنْ أَبي سَعِيد الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه-صلى الله عليه وسلم-: إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّه فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا" سنن الترمذي (٢٤٠٧)، صحيح الجامع (٣٥١).

-(إذا أصبح ابن آدم) دخل في الصباح (فإن الأعضاء) جمع عضو كل عظم وافر بلحمه (كلها) تأكيد (تكفر اللسان) تذل وتخضع له: (فتقول) أي بلسان الحال (اتق الله فينا)؛ أي خفه في حفظ حقوقنا فلا تقتحم منهيًا فنهلك معك (فإنما نحن بك) أي نستقيم ونعوج تبعًا لك (فإن استقمت) أي اعتدلت على الصراط المستقيم (استقمنا) اعتدلنا (وإن اعوججت) ملت عن الاعتدال (اعوججنا) ملنا عنه. (فيض القدير: ١/٢٨٦).

أولا: معنى ترويض اللسان:

(١) معنى ترويض في اللغة العربية: راضَ يَروض، راضَ المُهْرَ: درَّبه، ذلَّله وجعله مسخَّرًا مُطيعًا "ترويض: ضبط السُّلوك عن طريق الثواب والعقاب. (معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/٩٥٩).

(٢) معنى ترويض اللسان: تدريب وتربية اللسان على قول كل حسن جميل يُرضي الملك الجليل والبعد عن كل قول يُغضب الله تعالى.

ثانيا: لماذا أروض لساني في شهر الصيام؟

الجواب: لعظم خطر اللسان على الصيام، ومنها مثلا:

(١) تقليل وإزالة ثواب الصيام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» صحيح البخاري (١٩٠٣).

قَالَ ابن الْعَرَبِيِّ: مُقْتَضَى هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ مَنْ فَعَلَ مَا ذُكِرَ لَا يُثَابُ عَلَى صِيَامِهِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ ثَوَابَ الصِّيَامِ لَا يَقُومُ فِي الْمُوَازَنَةِ بِإِثْمِ الزُّورِ وَمَا ذُكِرَ مَعَهُ؛ فَقَوْلُهُ "لَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ" مَجَازٌ عَنْ عَدَمِ الْقَبُولِ. (فتح الباري ٤/ ١١٧).

(٢) صيام المفلسين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-: "لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. (شعب الإيمان (٩٠٩٨) السلسلة الصحيحة (١٩٠)، وقوله: «لا خير فيه: غير نافع». «معجم اللغة العربية المعاصرة» (١/ ٧١٢).

فمن لم يُروِّض لسانه في رمضان أضاع ثواب صيامه: فصام وقام بدون أجر وأصبح من المفلسين في الآخرة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ" مسند أحمد (٩٦٨٥)

صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ في مشكاة المصابيح (٢٠١٤).

- لاحظ كلمة "كم" التي تدل على كثرة الصائمين المفلسين الذين حصلوا على ألم الجوع والعطش من غير ثواب، قَالَ الطِّيبِيُّ: فَإِنَّ الصَّائِمَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُحْتَسِبًا أَوْ لَمْ يَكُنْ مُجْتَنِبًا عَنِ الْفَوَاحِشِ مِنَ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ وَالْغِيبَةِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْمَنَاهِي فَلَا حَاصِلَ لَهُ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَإِنْ سَقَطَ الْقَضَاءُ. (مرقاة المفاتيح (٤/ ١٣٩٨).

ثالثا: كيف أروض لساني في شهر الصيام؟

ترويض اللسان يحتاج إلى جهادٍ كبيرٍ، نستطيعُ بعون الله تعالى ترويض اللسان في طاعة الرحمن وذلك بطريقتين:

الطريقة الأولى: التخلية: وذلك بالتخلي والابتعاد والإعراض عما لا خير فيه من الكلام ولا فائدة: قال تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ» (المؤمنون: ١- ٣). «وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ» وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة «مُعْرِضُونَ»: رغبة عنه، وتنزيهًا لأنفسهم، وترفعًا عنه. (تفسير السعدي: ص٥٤٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" صحيح البخاري (٦٤٧٥)، وصحيح مسلم (٤٧). وقوله: "فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"؛ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فَإِنْ كَانَ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ خَيْرًا مُحَقَّقًا يُثَابُ عَلَيْهِ وَاجِبًا أَوْ مَنْدُوبًا فَلْيَتَكَلَّمْ، وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَنَّهُ خَيْرٌ يُثَابُ عَلَيْهِ فَلْيُمْسِكْ عَنِ الْكَلَامِ. (شرح النووي ٢/ ١٩).

ويكون ذلك عن طرق كثيرة منها: (١) ضبط النفس وكظم الغيظ: فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-: "وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ" صحيح البخاري (٤٣)، صحيح مسلم (١١٥١).

يعني: لا يقول قولاً يأثم به ولا يصخب فيتكلم بكلام صخب، بل يكون وقورًا مطمئنًا متأنيًا؛ فإن سابَّه أحد أو شاتمه فلا يرفع صوته عليه، بل يقول: إني صائم، يقول ذلك لئلا يتعالى عليه الذي سابَّه كأنه يقول: أنا لست عاجزًا عن أن أقابلك بما سببتني، ولكني صائم؛ يمنعني صومي من الرد عليك، وعلى هذا فيقوله جهرًا. (شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٥/ ٢٦٨).

تأمل إلى أيِّ حدّ يربِّي الصيام المسلم على التحكُّم في الأعصاب، وعلى عدم انفلات اللسان، وعلى كظم الغيظ، وعلى العفو عن الناس.

(٢) كف الأذى عن الناس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ" صحيح ابن خزيمة (١٩٩٦)، صحيح الجامع (٥٣٧٦). و(الرَّفَث) هُو السُّخف وَفَاحش الْكَلام.

(٣) تركُ الكذب: عَنْ أَنَس بْن مَالك قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَآلِه وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدعِ الْخَنَا وَالْكذبَ فَلا حَاجَةَ للَّه عَزَّ وَجَلَّ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ». المعجم الصغير للطبراني (٤٧٢)، صحيح الترغيب (١٠٨٠). والخَنا من قبيح الكلام، الخَنا الفُحْشُ في القول. لسان العرب (٢٤٤/١٤).

(٤) لا تبدأ بالسب والشتم: تُذكِّر نفسك وتُذكِّر الآخرين؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَن النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: لا تَسَابَّ وَأَنْتَ صَائمٌ، فَإِنْ سَبَّكَ أَحَدٌ، فَقُلْ: إِنِّي صَائمٌ، وَإِنْ كُنْتَ قَائمًا فَاقْعُدْ "مسند أحمد (١٠٥٦٤)، صحيح الترغيب (١٠٨٢).

الطريقة الثانية: التحلية: أي تُحلي فمك وتُطمئن قلبك وتُريح جسمك بكثرة ذكر الله تعالى؛ قال تعالى: « الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » (الرعد: ٢٨).

وعَنْ عَبْد اللَّه بْنِ بُسْرٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّ شَرَائعَ الإِسْلام قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِه، قَالَ: لا يَزَالُ لسَانُكَ رَطْبًا منْ ذكْر اللَّه. سنن الترمذي (٣٣٧٥)، صحيح الجامع (٧٧٠٠).

ما أحوجنا دائمًا إلى ذكر الله تعالى عمومًا وفي شهر رمضان خصوصًا؛ فإن الذكر من أيسر الأعمال وأخفها، ومن تركها فليس لثقل فيها، وإنما هو توفيق لقوم وحرمان لآخرين، فاطمح أن تكون من الموفقين، فما أيسر العمل وأعظم الأمل في ذكر الله تبارك وتعالى. وذلك عن طريق مثلا:

(١) أكثر من قِراءة القرآن: لتفوز بالأجر الجزيل ، فعن عَبْد اللَّه بْنِ مَسْعُود، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه- صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا منْ كتَاب اللَّه فَلَهُ بِه حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكنْ أَلفٌ حَرْفٌ وَلامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» سنن الترمذي (٢٩١٠) صحيح الجامع (٦٤٦٩).

(٢) كثرة الدعاء: قال تعالى: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » (البقرة: ١٨٦).

فأكثر من الدعاء؛ فدعاء الصائم مُجابٌ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: " ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ: دَعْوَةُ الصَّائم، وَدَعْوَةُ الْمُسَافر، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُوم "شعب الإيمان (٣٣٢٣) وصحيح الجامع (٣٠٣٢).

يُسْتَحَبُّ للصَّائم أَنْ يَدْعُوَ فِي حَالِ صَوْمه بِمُهِمَّاتِ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا لَهُ وَلِمَنْ يُحِبُّ وَلِلْمُسْلِمِينَ، اسْتحْبَابُ دُعَاءِ الصَّائم منْ أَوَّلِ الْيَوْمِ إِلَى آخره لأَنَّهُ يُسَمَّى صَائمًا فِي كُلِّ ذَلكَ. (المجموع شرح المهذب (٣٧٥/٦)

(٣) عبودية اللسان في شهر الصيام: وعبوديته متنوعة بين الواجب والمستحب، وترك الحرام والمكروه، فمن واجب هذه العبودية الشهادتان والتلاوة اللازمة للقرآن في الصلاة، وأذكار الصلاة من تسبيح وتسميع وتحميد وتكبير، وكذلك أمر بمعروف ونهي عن منكر وصدق الحديث، ونحو ذلك، ومنه المستحب؛ كعموم الأذكار وقراءة القرآن، ومذاكرة العلم وتوابعه، فأكثر من ذكر الله تعالى في خلواتك، وذهابك وإيابك، وإن تدريب اللسان على الإيجابية وإبعاده عن السلبية هو مطلب الشرع، فاعمل على تحصيل ذلك.

(٤) حُسن اختيار الكلام: في حال صيامك وفطرك، اختر ألفاظك كما تختار أطايب الطعام. قال تعالى: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» (البقرة: ٨٣)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخر فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" صحيح البخاري (٦٤٧٥)، وصحيح مسلم (٤٧).

والحمد لله رب العالمين.

رمضان شهر الجود والإحسان

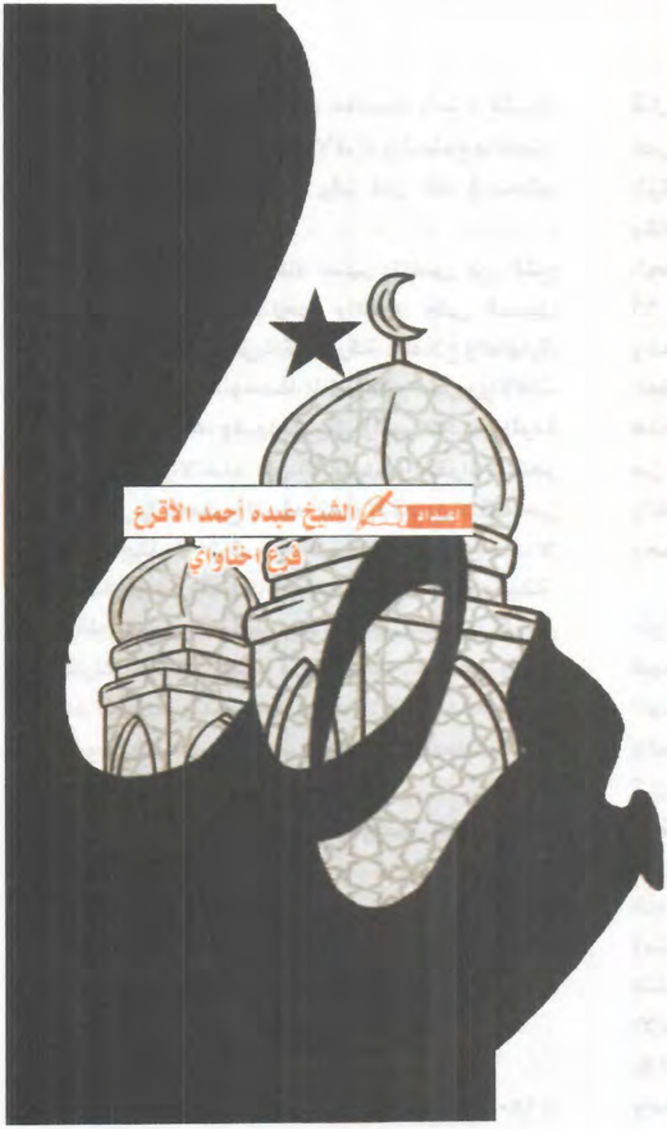

إعداد الشيخ عبده أحمد الأقرع

فرع اخناواي

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فإنَّ الإسلام قد بُني على أسس مُتماسكة وقواعد مترابطة، إذا اختل منها شيء، تصدَّع ما سواه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». (متفق عليه: البخاري: ٨، ومسلم: ١١).

وإنَّ من بين هذه الأركان العظيمة رُكنًا عظم تَساهُل بعض النَّاس فيه: إما لضعف الإيمان في النفوس، أو إيثار العاجلة بزينتها على الآجلة الباقية، ألا وهو: «رُكن الزكاة».

فالزكاة ثالث أركان هذا الدِّين العظيم، مَن جحد وجوبها كفر، ومن مَنَعَ أداءَهَا قوتل، قال الله تعالى: «فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ» (التوبة: ١١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله». (متفق عليه: البخاري: ٢٥، ومسلم: ٢).

وقد ذكر الله في كتابه الزَّكاة مقرونةً بالصَّلاة، تعظيماً لشأنها، وتنويهاً بذكرها، وترغيباً في أدائها، وترهيباً من تركها والتَّساهل فيها؛ قال الله عز وجل «وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ» (البقرة: ٤٣)، وقال صدِّيق الأمة رضي الله عنه: «والله لأقاتلن مَن فرَّق بين الصَّلاة والزكاة». (متفق عليه: البخاري: ١٤٠، ومسلم: ٢٠).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا تقبل منها واحدةً بغير قرينتها»، وذَكر منها قوله تعالى: «وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ» (البقرة: ٤٣). وقال: «مَن صلَّى ولم يُزَكِّ لم يُقبَل منه».

ولقد شُرعت الزكاة لحكم عظيمة، وأسرار كثيرة، ومصالح جمَّة، تعودُ على الأفراد والمجتمع بالفضل العظيم، والخير العميم، وقد قال الله في محكم التنزيل: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا» (التوبة: ١٠٣)؛ فالزكاة تُطهِّرُ النفس من الشُّح والبخل، وتُزكِّيها بالجود والكرم، وهي السبيل لحصول النماء والزيادة والبركة، والفلاح والطهارة، والخَلَف والمثوبة، وحفظ المال، ودفع الشرور والآفات عنه بإذن الله، وفيها تثبيت أواصر المحبة والمودة والتكافل والإخاء بين الأغنياء والفقراء ليشعر الفقير في المجتمع المسلم أنه أمام تعاون لا تطاحن وأمام إيثار لا أثَرة، وأمام مساواة وعطف وإخاء، لا إهدار لحقه وتسلط وجفاء، وأمام مشاعر رقيقة، وقلوب رحيمة، ولقد جاء الوعيد الشديد في حق تارك الزكاة بأسلوب ترتعد منه الفرائص وتهتز له القلوب، وتذوب من هوله الأفئدة، بأسلوب لو خُوطبت به الجبال الصُّم؛ لخشعت وتصدعت.

يقول الله عز وجل: «وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» (فصلت: ٦، ٧)، ويقول جل في علاه: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ» (التوبة: ٣٤، ٣٥)، ويقول سبحانه: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (آل عمران: ١٨٠)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآية: «مَنْ آتَاهُ اللَّه مَالًا فلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ له مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أقْرَعَ لهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَومَ القِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بلِهْزِمَتَيْهِ -يَعْنِي بشِدْقَيْهِ- ثُمَّ يقولُ: أنَا مَالُكَ، أنَا كَنْزُكَ». (البخاري: ١٤٠٣).

ومعنى: الزبيبة: نكتة سوداء فوق عين الحية.

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إلَّا أُحْمِيَ عليه في نَارِ جَهَنَّمَ، فيُجْعَلُ صَفَائِحَ فيُكْوَى بهَا جَنْبَاهُ وَجَبِينُهُ حتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بيْنَ عِبَادِهِ في يَومٍ كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ يُرَى سَبِيلَهُ إمَّا إلى الجَنَّةِ وإمَّا إلى النَّارِ». (متفق عليه: البخاري: ١٤٠٢، ومسلم: ٩٨٧).

قال شيخنا العلامة الألباني رحمه الله: «قلتُ: هذا نص صريح من رسول الله صلى الله عليه أن تارك الزكاة الذي يُعذَّب تلك المدة الطويلة أنه ليس بكافر مخلد في النار لقوله: «فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار». (صحيح الترغيب: ١/٤٦٢).

ألا فليسمح هذا الوعيد الشديد أرباب الآلاف والملايين، وذوو الأرصدة والحسابات، وأصحاب العقارات والتجارات، وهل يطيق الإنسان الضعيف هذه الكيَّات يُكوى بها الجسم كله من كل ناحية: من الأمام، والخلف، والجنب، في الجباه، والجنوب، والظهور، كلما بَـرَدَتْ أُعيـدت!! فرُحماك ربنا رحماك.

فضل الإنفاق في سبيل الله:

أدُّوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم؛ ولا سيما في شهر رمضان شهر البر والإحسان تأسياً بالرحمة المهداة، وسيد الأنام، نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله أَجْوَدَ النَّاسِ وكانَ أَجْوَدَ ما يَكونُ في رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ يَلْقَاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِن رَمَضَانَ، فيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ. (متفق عليه: البخاري: ٣٥٥٤، ومسلم: ٢٣٠٨).

فتأسوا به عليه الصلاة والسلام، واعلموا أن فضل الإنفاق في سبيل الله عظيم وأجره كبير، كما جاء في القرآن الكريم والحكمة المنزلة على سيد ولد آدم وإمام المرسلين، صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك أولاً: الفلاح في الدنيا والآخرة: قال الله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ» (المؤمنون: ١-٤).

ثانيًا: المال يزيد بالنفقة: قال الله تعالى: «وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» (سبأ: ٣٩).

وقال عز وجل: «وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ» (الروم: ٣٩)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم يُنفق عليك". متفق عليه البخاري: ٥٣٥٢، ومسلم:

٩٩٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ». متفق عليه: البخاري: ١٤١٠، ومسلم: ١٠١٤).

ثالثا: تطهير النفس والمال:

قال الله عز وجل: «خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا» (التوبة: ١٠٣).

رابعًا: من أسباب الفوز بالفردوس من الجنّة. قال الله تعالى في وصف أهل الجنة: «وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ» (المؤمنون: ٤)، وعدّد الصفات ثم قال عز وجل: «أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ (١٠) ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ» (المؤمنون: ١١).

خامساً: نيل البر: قال الله عز وجل: «لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ» (آل عمران: ٩٢).

سادساً: تجارة رابحة: قال الله عز وجل: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ» (فاطر: ٢٩، ٣٠).

سادسًا: الصدقة تُطفئ غضب الرب: قال صلى الله عليه وسلم: «صدقة السر تُطفئ غضبَ الرب». (صحيح الجامع: ٣٧٦٠).

سابعاً: الصدقة تطفئ الخطيئة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار». صحيح الترغيب: (٨٧٢).

ثامناً: المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل امرئ في ظل صدقته، حتى يُقضى بين الناس». (صحيح الجامع: ٤٥١٠).

تاسعاً: المتصدق في ظل عرش الله يوم القيامة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبعةٌ يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله». وذكر منهم: "ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». (متفق عليه: البخاري: ١٤٢٣، ومسلم: ١٠٣١).

عاشراً: الصدقة دواء نافع بإذن الله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «داووا مرضاكم بالصدقة». (صحيح الجامع: ٣٣٥٨).

الحادي عشر: الصدقة تُطفئ حر القبور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور». (صحيح الترغيب: ٨٧٣).

الثاني عشر: الظفر بدعاء المَلك:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط مُنفقاً خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً». (متفق عليه: البخاري: ١٤٤٢، ومسلم: ١٠١٠).

الثالث عشر: التَصدُّق من سمات النبيين: قال الله عزّ وجل عن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: «فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ» (يوسف: ٨٨).

الرابع عشر: الصدقة من سمات المتقين: قال الله عز وجل في وصف المتقين: «وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ» (الذاريات: ١٩).

الخامس عشر: التصدق دليل الإيمان، قال الله عز وجل في وصف المؤمنين: «تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ» (السجدة: ١٦، ١٧).

السادس عشر: الإنفاق استجابة لأمر الله:

قال الله عز وجل: «قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ» (إبراهيم: ٣١).

السابع عشر: الصدقة من أسباب النجاة من النار: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» (صحيح الجامع: ١١٤).

ورحم الله الشعبيُّ حيث قال: «مَن لم تكن نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته، فقد أبطل صدقته، وضُرب بها وجهه».

اللهم اجعلنا من المتصدقين وأعنّا على ذلك.

والحمد لله رب العالمين.

إعمال الفكر في قواعد الذكر

إعداد د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد: فإن ذِكْر الله تعالى هو السبيل لقُربه سبحانه، والطريق الأسرع لحُبّه، والحبل المتصل لدينه. بالذكر تُستدفع الآفات، وتنكشف الكربات، وتهون المصيبات. إذا أظلنا البلاء فإليه ملجؤنا، وإذا نزلت النوازل فإليه مفزعنا.

والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير موقّتة، بل هم مأمورون بذكر الله المعبود والمحبوب في كل حال: قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم. فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بُور وخراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جِلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا؛ ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقًا.

به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار.

زيَّن الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل: كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء.

وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يُغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري -رحمه الله-: "تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق".

وبالذكر: يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.

والذكر سببٌ لشرح الصدور وشفاء الأسقام في الدنيا، وهو نور القبور، فما استشفى أحد بمثل كلام الله وذِكره، وما استُدفعت الأسقام إلا بعفوه، قال الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

(يونس: ٥٧، ٥٨). وقال المفسرون في معنى الفضل هو الإسلام، والرحمة هي القرآن.

ولكن رأينا اليوم أقوامًا لم يتأدبوا بآداب الذكر، ولم يراعوا أهمية التمعُّن والفكر، فاستعملوا بعض الأذكار لتحصيل الإعجابات وجمع أكبر عدد من المشاهدات، وكأن الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- أصبحت وسيلة من وسائل جمع الثروات، وليس لتزكية النفس من الدنايا والموبقات.

جملة من آداب وقواعد الذِّكر:

ولأننا نستقبل شهرًا فضيلًا وموسمًا من مواسم الذكر عظيمًا؛ فقد رأيت أن أذكر بعض القواعد المهمة للذاكرين؛ لنعلم أن الذكر يحتاج منا إلى التأمل وحضور القلب بيقين، فها هي جملة من الآداب والقواعد لمن أراد سلوك سبيل المؤمنين:

- شرط حصول الأجر الكامل في الأذكار: تواطؤ القلب مع اللسان.

فالذين يتمايلون بلا تفكُّر، ويحملون المسابح بلا تدبُّر ويهزُّون رؤوسهم بلا تعقُّل؛ لا ينتفعون من الذكر إلا بقدر ما عقلته قلوبهم.

قال شيخ الإسلام: الناس في الذكر أربع طبقات:

أحدها: الذكر بالقلب واللسان، وهو المأمور به.

الثاني: الذكر بالقلب فقط، فإن كان مع عجز اللسان فحَسَن، وإن كان مع قدرته فترك للأفضل.

الثالث: الذكر باللسان فقط، وهو كون لسانه رطبًا بذكر الله، وفيه حكاية التي لم تجد الملائكة فيه خيرًا: إلا حركة لسانه بذكر الله، ويقول الله تعالى: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه».

الرابع: عدم الأمرين وهو حال الخاسرين. (مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٠/ ٥٦٦).

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَيِّدُ الاسْتِغْفارِ أنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ. قالَ: ومَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فَماتَ مِن يَومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ». (صحيح البخاري: ٦٣٠٦).

قال النووي: فلا بد للمُسبِّح أن يعتقد تسبيح الله وتنزيهه، وللحامد أن يعتقد استحقاق الله للحمد، ولا بد للمُكبِّر أن يعتقد أن الله ليس أكبر منه شيء لا في ذاته ولا في كمال أسمائه وصفاته. (الأذكار: ص٤٠).

- ذكر الله في الأزمنة الفاضلة محل لاستجابة الدعاء.

قال الله تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» (البقرة: ١٨٦)؛ وهذه الآية توسطت أحكام الصيام، فدلت على مشروعية الذكر والدعاء عند إتمام الأعمال.

قال الحافظ ابن كثير: "وفي ذكره تعالى هذه الآية الباعثة على الدعاء، متخلِّلة بين أحكام الصيام إرشادٌ إلى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة، بل وعند كل فطر".

- الذكر في الزمان الفاضل والمكان الفاضل أفضل منه في المكان والزمان المفضول

من المفاسد التي وقعت في زماننا أن نرى مَن يذكر الله في موضع ينبغي أن يُنزَّه فيه عن مثل ذلك، مثل اجتماعات الرقص والخلاعة، والغناء، وفي الأسواق مع الباعة، وياليتهم يفعلون ذلك للتذكير والوعظ والإنابة، ولكن للفت الانتباه وجلب الأرزاق وبيع البضاعة.

وتقرير ذلك أن الزمان والمكان الفاضلين مما تُضاعَف فيه الحسنات، هذا هو الأصل، والذكر من أحسن الحسنات، فهو يُضاعَف في الحرمين وفي شهر رمضان.

قال الحافظ ابن رجب: "واعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب منها: شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل؛ كالحرم، ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة؛ كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام.

وفي تضاعف جوده -صلى الله عليه وسلم- في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة؛ منها: شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه. (لطائف المعارف: ص١٥١).

- الأذكار الشرعية شُرعت لأغراض صحيحة للتعبُّد بها، وليس لأغراض دنيئة

فالإتيان بها لغير ما شُرعت له عدولٌ عن الطريق السوي وافتئات على المنهج الرباني، فما شُرعت الأذكار إلا لنيل الثواب، ودفع العقاب، ورفع الدرجات، ونيل القربات، أما أن تكون سلعة ووسيلة لكل مُقتات فهيهات هيهات!!

قال في البحر الرائق ٨/ ٢٣٥: "ولو فتح التاجر السلعة فصلى على النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وأراد بذلك إعلام المشتري جودة ثوبه، فذلك مكروه".

وفي الفتاوى الهندية (٥/ ٣١٥): الكلام منه ما يوجب أجرًا كالتسبيح والتحميد وقراءة القرآن والأحاديث النبوية وعلم الفقه، وقد يأثم به إذا فعله في مجلس الفسق وهو يعلمه؛ لما فيه من الاستهزاء والمخالفة لموجبه، وإن سبح فيه للاعتبار والإنكار وليشتغلوا عما هم فيه من الفسق فحسنٌ".

- الأصل في الذكر أن يكون سرًا، وإنما يُشرع الجهر في مواضع، لأغراض صحيحة.

قال الله جل وعلا: «وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ» (الأعراف: ٢٠٥)؛ قال ابن كثير في تفسيره: «وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ»؛ وهكذا يُستحب أن يكون الذكر لا يكون نداء ولا جهرًا بليغًا.

وعن أبي موسى الأشعري، قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار، فقال لهم النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائبًا؛ إن الذي تدعونه سميع قريب» البخاري (رقم: ٤٢٠٥) ومسلم (رقم: ٢٧٠٤). ومعنى «ارْبَعوا على أنفُسكم»، أي: ارْفُقوا بأنفسكم.

- من آداب الذكر صون محالّ الذكر ومجالسه من القواطع والمفسدات والمشوشات.

ولهذا المعنى نهى النبي صلى الله عليه وسلم استعمال المساجد في غير ما وضعت له، فقال: «من سمع رجلًا ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردّها الله عليك؛ فإن المساجد لم تُبنَ لهذا» (صحيح مسلم ١١٩٧).

- الأصل أن يقوم العبد بالذكر من تِلقاء نفسه ولا يقوم به غيرُه.

فالذكر عبادة لا تدخلها النيابة كالصلاة فلا يُصلّي أحدٌ عن أحدٍ. وهذا لا يمنع الإعانة بالتلقين للجاهل والتعويذ للصبية، وقد تعوّد بعض الناس في مجالسهم أنهم إذا تكلموا بكلمة أمروا غيرهم أن يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يكون ذلك في مواقف متعددة؛ مرة في مزاح وأخرى في مشاجرة، ولم يُعْهَد من طريقة سلفنا الصالح أنهم كانوا يفعلون ذلك في مجالسهم.

- الاستهزاء بالأذكار الشرعية أو الاستخفاف بها كُفرٌ مُخرج من الملة.

قال الله جل وعلا: «قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ» (التوبة: ٦٥، ٦٦)؛ ومن صور الاستخفاف بالذكر أن يُفتتح به الاجتماعات الباطلة، والمؤتمرات الآثمة، تبركًا بالذكر -زعموا-، لا والله، إنهم من الخير

فروا، وإلى طاعة الشيطان قرّوا.

- الذكر المطلق لا يجوز تقييده بزمان أو مكان أو حال إلا بدليل:

بل يعمل به بإطلاق؛ كما جاء بإطلاق، والتقييد له موقوف على ثبوت الخبر، وإلا كان ضربًا من ضروب البدع.

مثاله: الأمر بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله جل وعلا: « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا » (الأحزاب: ٥٦)، فلو ذهب ذاهب إلى تقييد ذلك عند وضوئه، أو عند أكله لكان ذلك ممنوعًا، ولو التزمه عند دخول المسجد وخروجه منه لكان ذلك مشروعًا لثبوت الخبر، وقِسْ على ذلك سائر الأذكار.

قال الشاطبي في الاعتصام (١/ ٣١٨): فإذا ندب الشرع مثلًا إلى ذكْر الله، فالتزم قوم الاجتماع عليه على لسان واحد وبصوت، أو في وقت معلوم مخصوص عن سائر الأوقات؛ لم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتزم، بل فيه ما يدل على خلافه؛ لأن التزام الأمور غير اللازمة شرعًا شأنها أن تفهم التشريع، وخصوصًا مع مَن يُقتدى به في مجامع الناس كالمساجد؛ فإنها إذا ظهرت هذا الإظهار ووُضعَتْ في المساجد كسائر الشعائر التي وضعها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المساجد وما أشبهها كالأذان وصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف؛ فُهِمَ منها بلا شك أنها سنن، وإذا لم تُفهَم منها الفرضية، فأحرى أن لا يتناولها الدليل المستدل به، فصارت من هذه الجهة بدعًا مُحدَثة.

- الأصل أن الأذكار لا بد من الإتيان بها بألفاظها دون زيادة أو نقص أو تبديل:

لأن ألفاظ الشارع مقصودة يُتعبَّد له بها، وهذا يفوت بالمخالفة؛ لأن الذكر عبادة بابها التوقيف، والوقوف على الرسوم، ولهذا في حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما-، قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُعلِّمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن. الحديث. فدلَّ ذلك على وجوب التقيُّد باللفظ النبوي.

وفي حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إذا أتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ للصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ على شِقِّكَ الأيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ وجْهِي إلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أمْرِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بكِتابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ، فإنْ مُتَّ مِن لَيْلَتِكَ، فأنْتَ على الفِطْرَةِ، واجْعَلْهُنَّ آخِرَ ما تَتَكَلَّمُ به. قالَ: فَرَدَّدْتُها على النبيِّ -صلى الله عليه وسلم-، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بكِتابِكَ الذي أنْزَلْتَ، قُلتُ: ورَسولِكَ، قالَ: لا، ونَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ. صحيح البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

قال الحافظ ابن حجر مُعلِّقًا: "وأولى ما قيل في الحكمة في رده -رضي الله عنه- على من قال "الرسول" بدل "النبي"، أن ألفاظ الأذكار توقيفية، ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس، فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به، وهذا اختيار المازري، قال: فيُقتَصر فيه على اللفظ الوارد بحروفه، وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف، ولعله أوحى إليه بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفه.

فاللهم متِّعنا بذكْرك، وارزقنا شكرك، وأسبغ علينا فضلك.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رمضان والتربية:

دور الآباء في تعزيز القيم التربوية في رمضان

إعداد: الشيخ عادل شوشة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

منْ أعظم نعم الله تعالى على عباده المؤمنين أن يُبلغهم شهر رمضانَ، فهو شهر تتنزل فيه الرحمات، وتُغفر فيه الذنوب والسيئات، وتُضاعف فيه الأجور والدرجات، وتُفتح فيه أبواب الجنة، وتُغلق أبواب النار، ويعتق الله فيه عباده من النيران، فحريٌ بالأسرة المسلمة أن تستغل هذا الشهر بما يعود عليها بالخير، فرمضان فرصة ذهبية لتعزيز القيَم الايمانية والعقدية داخل الأسرة، وعلى الآباء أن يكونوا قدوة لأبنائهم في هذا الشهر الفضيل، وتحويل أيام ولیالي رمضان إلى مدرسة تربوية تُعزّز الايمان وتُعمّق العقيدة وتبني أسرة متماسكة إيمانيًا من خلال تعليم الأبناء معاني الصبر والرحمة، وترسيخ القيم الاجتماعية؛ لصناعة جيل واع مؤمن، يعي مسؤولياته تجاه دينه وأسرته ومجتمعه.

على ربّ الأسرة أن يعي مسؤوليته تجاه تعزيز القيم التربوية في هذا الشهر المبارك، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكتفي بالعبادة الشخصية في هذا الشهر المبارك دون متابعة أهله فقد كان صلى الله عليه وسلم "يُوقِظُ أَهْلَهُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ" (رواه الترمذي)، ويبين بهديه القولي والعملي ما ينبغي أن يكون عليه المسلم في رمضان فيربيهم بالقول والعمل؛ ليقتدوا بهديه صلى الله عليه وسلم.

ما أحوجنا إلى الاقتداء بهديه صلى الله عليه وسلم في تربية الأسرة إيمانيًا وعقديًا وذلك من خلال:

١- الحرص على اغتنام لحظات هذا الشهر

والمحافظة على اغتنام الأوقات وعدم تضييعها:

وذلك باستشعار المسؤولية أمام اتساع دائرة الملهيات، وقيام رب الأسرة بدوره بإعانة أهل بيته على الطاعة، ويهيئ لهم أسبابها، إضافةً إلى توضيح دور كل فرد في إعانة باقي أفراد الأسرة.

ومما يُعين أيضًا على اغتنام أوقات الشهر وتربية الأسرة على ذلك أن يتقدَّم قبله بشراء حاجيَّات الشهر ولوازمه من أكل وشرب، وليحذر الإسراف في هذا، فإنه شهر استثمار؛ لا شهر استهلاك، ويَحُثّ أهل البيت على شراء لوازم عيدهم قبل دخول الشهر؛ لأن تأخيرها إلى دخول الشهر أو إلى دخول العشر الأواخر خسارة واضحة كالشمس، فإن الناس يتعبَّدون ويجمعون الحسنات، وهؤلاء في الأسواق يرتعون خلف كل جديد!

٢- إظهار البِشْر والسعادة بتحقق رؤية هلال رمضان، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا رأى الهلال الذي يَبْدَأُ به الشَّهْر القَمَريّ: "اللهمَ أهلَه علينا باليُمنِ والإيمانِ، والسلامةِ والإسـلامِ، ربِّـي وربُّـكَ الله"(رواه الترمذي (٣٤٥١) وصححه الألباني).

٣- التوبة وتجديد العهد مع الله وحثهم على تحقيق شرط التوبة وهي:

الإقلاع عن الذنب.

الندم على ما فات.

العزم على عدم العودة إليه.

وإذا كانت التوبة من مظالم العباد في مال أو عرض أو نفس، فتزيد شرطًا رابعًا، هو:

التحلل من صاحب الحق، أو إعطاؤه حقه.

مع الحرص على إزالة أثر الذنوب والمعاصي بفعل الحسنات الماحيات والصبر على أداء العبادات من الفرائض والسنن والإكثار من الطاعات قال الله تعالى: « وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ » (هود: ١١٤، ١١٥).

٤- التذكير بفضائل شهر رمضان، وأجر الصيام والقيام، وتعريف الأبناء بحقيقة الصيام، وأنه ليس فقط ترك الطعام والشراب، فـ"رُبَّ صَائِم لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِم لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ"(رواه ابن ماجه ١٦٩٠)؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم. فشهر رمضان والصيام هو طريق لتحصيل التقوى وحُسْن الأخلاق.

٥- تعويد الصغار على الصيام وأداء الصلوات، ومتابعتهم وشحذ همة المقصر منهم:

فمن خصوصيات شهر رمضان الصيام والمحافظة على القيام وكثرة قراءة القرآن والدعاء، وغيرها من أعمال البر، وهذا يحتاج إلى اهتمام كبير من الأبوَين الكريمين لأبنائهم وبناتهم تحفيزًا وتشجيعًا وترغيبًا بأساليب عدة قولية وعملية؛ لأنهم أبناؤنا، وعملهم يُرجى أن يكون لنا مثله؛ لأنهم من كسبنا وسعينا، فيا معاشر الآباء والأمهات لا تغفلوا عن هذا ولا تملُّوا ولا تسأموا؛ بل استمروا متابعين محفزين طول شهركم، لا سيَّما في العشر الأواخر منه.

٦- الحثّ على التعاون بين أفراد الأسرة في أعباء ومسؤوليات البيت، ومن ذلك إعانة الأم في إعداد المائدة وتجهيزها، وكذا في رفع الباقي من الطعام عن المائدة، وحفظ الطعام الصالح للأكل، وعلى الزوج أن يساعد زوجته،

وألا يُكلّفها بما لا طاقة لها به من حيث إعداد الطعام.

عَنِ الأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ" (صحيح البخاري ٦٧٦).

وعلى المرأة وهي تعمل على طهيها وخدمتها في بيتها أن تعلم أنها على أجر عظيم، فكما أنه قيام بما عليها من رعاية بيتها، فقد يشملها أيضًا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ذهب المفطرون اليوم بالأجر"؛ لأنهم قاموا على خدمة إخوانهم، فكيف بهذه المرأة وبناتها وقد خدموا وهم صائمون، فيا بشراهن كثيرًا.

واعلمي أنك يمكن أن تجمعي بين الخدمة وعبادة الذكر، أرأيتِ أن "سبحان الله وبحمده" مائة مرة تُكفر الخطايا، ردِّديها، أرأيتِ أن "الحمد لله" تملأ الميزان، أرأيت أن "سبحان الله والحمد لله" تملأ ما بين السماء والأرض، أرأيت أن "لا إله إلا الله" أفضل الحسنات، أرأيتِ أن "لا حول ولا قوة إلا بالله" كنز من كنوز الجنة، أرأيت أن لك بالصلاة الواحدة على النبي صلى الله عليه وسلم عشر صلوات؛ فأكثري من ترديد هذه الأذكار خلال عملك في رمضان وغيره؛ لتجمعي بين الحسنيين.

٧- يُذكِّر الأبوان أبناءهما ببركة السحور، وأنه يقوِّي الإنسان على الصيام، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تسحّروا فإن في السّحور بركة" (صحيح البخاري: ١٩٢٣).

٨- على الوالدين الاهتمام بأعمال الخير المتنوعة، وتربية الأبناء على الجُود والعطاء، وحثّ أبنائهم على الشعور بالفقراء والمحتاجين، وإدخال السرور إلى قلوبهم، وتشجيعهم على التصدق، وتفقد أحوال الجيران، والمشاركة في إعداد إفطار للصائم... إلخ.

وكذلك من المهم عند إخراج زكاة الفطر في نهاية رمضان أن تجتمع الأسرة، ويسمعوا درسًا عن زكاة الفطر، ويقيس الأبناء والبنات أصواعهم (الصاع) بأنفسهم في بيتهم وبين أهلهم ليعلموا درسًا عمليًا عن هذا الحكم الشرعي، بخلاف مَن يُخرجها عن أبنائه وبناته ولا يعلم الأبناء والبنات شيئًا عن هذا، وهذا قد يكون خَلَلًا في التربية.

٩- تعليم الصبر وحُسن الخلق وضبط النفس:

قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ » (البقرة: ١٨٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ" (صحيح البخاري ١٩٠٣).

ومن ذلك أيضًا: تدريب الأبناء وتعويدهم على الامتناع عن المشاجرات، والكلام البذيء.

١٠- عدم التوسُّع في تصفُّح وسائل التواصُل، وتضييع لحظات ذلك الشهر، وهي عزيزة وشريفة، والحذر من متابعة الملهيات في الإعلام وغيره، فالأسرة المسلمة في رمضان وغير رمضان تحافظ على وقتها، ولا تُقبل إلا على الطيب، ولا تشغل أوقاتها إلا بالنافع والمفيد.

نسأل الله أن يبارك في أزواجنا وأبنائنا، وأن يهدينا وإياهم سبل السلام، والحمد لله رب العالمين.

جمعية
أنصار السنة المحمدية
بفرع أسكر

من أهم أنشطة الجمعية:

1- مساعدة الفقراء والمساكين.

2- كفالة الأيتام.

3- بناء المساجد.

4- وقف النخيل الخيري.

5- مدرسة لحفظ القرآن الكريم.

6- مركز الإيمان الطبي الخيري، بأسعار رمزية: (باطنة- أسنان- رمد- علاج طبيعي- جلدية- نساء وولادة- عظام- مخ وأعصاب)، فضلاً عن استقبال المرضى من كل الفئات على مدار 24 ساعة في قسم الطوارئ، وجارٍ إنشاء قسم للعمليات الجراحية.

7- معمل تحاليل طبية لجميع التحاليل بأسعار رمزية.

8- وحدة غسيل كلوي بعدد 13 ماكينة غسيل، وجارٍ رفع طاقة العمل إلى 25 ماكينة غسيل كلوي عن طريق إنشاء وحدة الغسيل الكلوي بالدور الثالث بالمركز الطبي. وإكمالاً للمسيرة السابق ذكرها في تقديم الخدمة العلاجية والإنسانية تناشد الجمعية أهل الخير بدعوة للتبرع لاستكمال الدور الثالث من التشطيبات وحضانات الأطفال ؛ حتى تكون الجمعية صرحًا يقام على أعلى المعايير والأسس الطبية والإنسانية للأسر الفقيرة والأيتام وذوي الدخل المحدود.

الأمين العام

أشرف سيد خليل

رئيس مجلس الإدارة

رجب أحمد منصور

رقم حساب المركز الطبي في البنك الأهلي: 1813070699518500027

ت: 01129247322 -01155333136

علم نافع لايستغني
عنها البيت المسلم»

التوحيد

التوحيد
وقفات شرعية مع أحداث الثورة المصرية
عام يرحل .. وصفحة تطوى !!
أنصار السنة المحمدية والانتخابات
الفتنة المقنعة
يا دعاة الأمة: الزموا السنة على منهاج النبوة

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

☎ للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

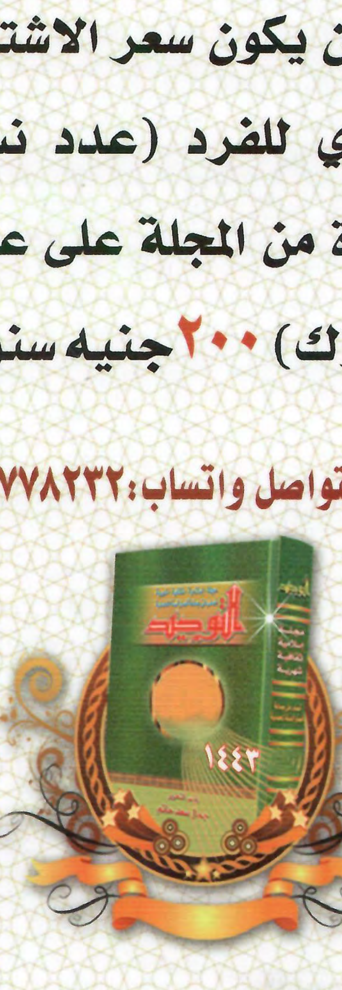
التوحيد
١٤٤٣